

لحون المجهود

علاء

حنيفة أبي بكر ابن أبي داود

نظم

أبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني

شرح

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

محفوظ
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ

مقدمة

الحمد لله الرحمن أنزل القرآن خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة، والسلام على محمد خير الأنام الذي بين التوحيد، والإيمان، ورغب في العلم، والإحسان ومن تبعهم بإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له الملك المنان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا شرح مختصر لمنظومة أبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني في السنة؛ وهي المعروفة بحائية ابن أبي داود، كنت قد حفظتها قديمًا؛ وكانت لي رغبة في شرحها، والتعليق عليها لإفادة نفسي أولًا ثم لإفادة غيري من المسلمين فكثرت المشاغل وضاعت الأوقات وقلت البركات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم يسر الله بخروجي دعوة إلى بلاد الجزائر حرسها الله بالتوحيد، فشرحتها شرحًا مختصرًا توضيحًا لها وتتميمًا لفوائدها، فقام أخونا الفاضل أبوبكر نبيل الدروبي بتفريغها، فهذبتها وزدت عليها ما احتاج الحال إليه، حتى خرجت في هذه الحلة التي بين يديك.

فَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدِّ الْحَلَالَ قَدْ جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

وما كان من قصور في بعض أبوابها فستجده بأوضح بيان، إن شاء الله تعالى في كتابي فتح الباري على شرح السنة للإمام البرهاري ، وفي كتابي شرح

أصول السنة لابن أبي زمنين ، وكتابي سلامة الخلف في طريقة السلف ،
وإني لأعتبر خدمة كتب وعقائد السلف من أفضل القربات؛ حيث وهي كتب
علم وبيان لطريق الإسلام العظيم، وحبل الله المتين، وكتب ردود على أهل
الباطل من الكافرين وغيرهم من المبتدعين الضالين، وقد رفع الله قدرهم
بالعلم والعمل والدعوة إلى الله . فالله المسئول أن ينفع بهذا الشرح الذي
أسميته عون المعبود على حائية أبي بكر بن أبي داود ، كما نفع بأصله وأسأله
أن يغفر لي ولوالديّ ولمشايخي ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.



ترجمة المصنف

هُوَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِيُّ الْإِمَامُ، الْعَلَّامَةُ،
الْحَافِظُ، شَيْخُ بَغْدَادَ، أَبُو بَكْرٍ السَّجِسْتَانِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ.

وُلِدَ بِسَجِسْتَانَ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَسَافَرَ بِهِ أَبُوهُ وَهُوَ صَبِيٌّ، فَكَانَ يَقُولُ: رَأَيْتُ جَنَازَةَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ.

قُلْتُ: وَكَانَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، فِي شَعْبَانَ، فَأَوَّلُ شَيْخٍ سَمِعَ
مِنْهُ: مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ، وَسَرَّ أَبُوهُ بِذَلِكَ لِجَلَالَةِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَسْلَمَ.

رَوَى عَنْ: أَبِيهِ، وَعَمِّهِ، وَعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغَبَةَ، وَأَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ
يَحْيَى الزَّمَانِيِّ، وَأَبِي الطَّاهِرِ بْنِ السَّرْحِ، وَعَلِيِّ بْنِ خَشْرَمٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ بَشَّارٍ، وَنَصْرَ
بْنَ عَلِيٍّ، وَعَمْرُو بْنَ عُثْمَانَ الْحَمَصِيِّ، وَكَثِيرَ بْنَ عُبَيْدٍ، وَمُوسَى بْنَ عَامِرِ الْمُرِّيِّ،
وَمُحَمَّدَ بْنَ خَالِدٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ سَلَمَةَ الْمُرَادِيِّ، وَهَارُونَ بْنَ إِسْحَاقَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ
مَعْمَرِ الْبَحْرَانِيِّ، وَأَبِي سَعِيدِ الْأَشَجِّ، وَهَارُونَ بْنَ سَعِيدِ الْأَيْلِيِّ، وَمُحَمَّدَ بْنَ
مُصَفًّى، وَإِسْحَاقَ الْكُوسَجِ، وَالْحَسَنَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي شُعَيْبٍ، وَعَمْرُو بْنَ عَلِيٍّ
الْفَلَّاسِ، وَهَشَامَ بْنَ خَالِدِ الدَّمَشَقِيِّ، وَالْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدِ الزَّعْفَرَانِيِّ، وَزِيَادَ بْنَ
أَيُّوبَ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَرَفَةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الذُّهَلِيِّ، وَإِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ شَاذَانَ،
وَيُوسُفَ بْنَ مُوسَى الْقَطَّانَ، وَعَبَادَ بْنَ يَعْقُوبَ الرَّوَاجِنِيَّ، وَخَلْقَ كَثِيرٍ بِخُرَّاسَانَ
وَالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، وَمِصْرَ وَالشَّامِ، وَأَصْبَهَانَ وَفَارِسَ.

وَكَانَ مِنْ بُحُورِ الْعِلْمِ، بِحَيْثُ إِنَّ بَعْضَهُمْ فَضَّلَهُ عَلَى أَبِيهِ.

صَنَّفَ (السُّنَنَ)، وَ(المَصَاحِفَ)، وَ(شَرِيعَةَ الْمُقَارِي)، وَ(النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ)، وَ(الْبَعْثَ) وَأَشْيَاءَ.

حَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِنْهُمْ: ابْنُ حِبَّانَ، وَأَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ، وَأَبُو عُمَرَ بْنُ حَيَّوَيْهِ، وَابْنُ الْمُظَفَّرِ، وَأَبُو حَفْصِ بْنِ شَاهِينَ، وَأَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ، وَعِيسَى بْنُ عَلِيٍّ الْوَزِيرُ، وَابْنُ الْمُقَرِّي، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَبَابَةَ، وَأَبُو طَاهِرٍ الْمُخَلَّصُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ زُبَيْرٍ الْوَرَّاقُ، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ، وَآخَرُونَ.

وَكَانَ يَقُولُ: دَخَلْتُ الْكُوفَةَ وَمَعِيَ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ، فَأَخَذْتُ بِهِ ثَلَاثِينَ مُدًّا بَاقِلًا، فَكُنْتُ أَكُلُ مِنْهُ، وَأَكْتُبُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشْجِ، فَمَا فَرَغَ الْبَاقِلَا حَتَّى كَتَبْتُ عَنْهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ، مَا يَبْنِي مَقْطُوعٍ وَمُرْسَلٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ شَاذَانَ: قَدِمَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ سَجِسْتَانَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُحَدِّثَهُمْ، فَقَالَ: مَا مَعِيَ أَصْلٌ.

فَقَالُوا: ابْنُ أَبِي دَاوُدَ وَأَصْلٌ!؟

قَالَ: فَأَثَارُونِي، فَأَمْلَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ حِفْظِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ، فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ، قَالَ الْبَغْدَادِيُّونَ: مَضَى إِلَى سَجِسْتَانَ وَلَعِبَ بِهِمْ، ثُمَّ فَيَّجُوا فَيَّجًا اكْتَرَوْهُ بِسِتَّةِ دَنَانِيرٍ إِلَى سَجِسْتَانَ، لِيَكْتُبَ لَهُمُ النُّسخَةَ، فَكُتِبَتْ، وَجِيءَ بِهَا، وَعُرِضَتْ عَلَى الْحَفَّازِ، فَخَطَّنُونِي فِي سِتَّةِ أَحَادِيثَ، مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحَادِيثَ حَدَّثْتُ بِهَا كَمَا حَدَّثْتُ، وَثَلَاثَةُ أَخْطَأْتُ فِيهَا.

هَكَذَا رَوَاهَا أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ، عَنِ ابْنِ شَاذَانَ، وَرَوَاهَا غَيْرُهُ، فَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِأَصْبَهَانَ.

وَكَذَا رَوَى أَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيُّ الْحَافِظُ، عَنْ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ.
فَالْأَزْهَرِيُّ وَاهِمٌ.

قَالَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْحَافِظَ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي دَاوُدَ،
يَقُولُ:

حَدَّثْتُ مِنْ حِفْظِي بِأَصْبَهَانَ بِسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، أَلَزَمُونِي الْوَهْمَ فِيهَا فِي
سَبْعَةِ أَحَادِيثَ، فَلَمَّا انصَرَفْتُ، وَجَدْتُ فِي كِتَابِي خَمْسَةً مِنْهَا عَلَى مَا كُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ
بِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ: كَانَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ إِمَامَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَمَنْ
نَصَبَ لَهُ السُّلْطَانُ الْمُنْبَرِ، وَقَدْ كَانَ فِي وَقْتِهِ بِالْعِرَاقِ مَشَايخُ أُسْنَدٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَلْعُوا
فِي الْآلَةِ وَالْإِتْقَانِ مَا بَلَغَ هُوَ.

أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ: أَنْبَأَنَا أَبُو حَفْصٍ بْنُ شَاهِينَ، قَالَ: أَمَلَى عَلَيْنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ
سِنِينَ، وَمَا رَأَيْتُ بِيَدِهِ كِتَابًا، إِنَّمَا كَانَ يُمْلِي حِفْظًا، فَكَانَ يَقْعُدُ عَلَى الْمُنْبَرِ بَعْدَ مَا
عَمِيَ، وَيَقْعُدُ دُونَهُ بِدَرَجَةِ ابْنِهِ؛ أَبُو مَعْمَرٍ - بِيَدِهِ كِتَابٌ - فَيَقُولُ لَهُ: حَدِيثُ
كَذَا، فَيَسْرُدُهُ مِنْ حِفْظِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى الْمَجْلِسِ.

قَرَأَ عَلَيْنَا يَوْمًا حَدِيثَ (الْفُتُونِ) مِنْ حِفْظِهِ، فَقَامَ أَبُو تَمَّامٍ الزَّيْنَبِيُّ، وَقَالَ: اللَّهُ
دَرْكُ! مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ.

فَقَالَ: كُلُّ مَا كَانَ يَحْفَظُ إِبْرَاهِيمُ، فَأَنَا أَحْفَظُهُ، وَأَنَا أَعْرِفُ النُّجُومَ، وَمَا كَانَ
هُوَ يَعْرِفُهَا.

أَنْبَأَنَا الْمُسْلِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَغَيْرُهُ: سَمِعُوا أَبَا الْيُمَنِ الْكِنْدِيَّ، أَنْبَأَنَا أَبُو مَنْصُورٍ الشَّيْبَانِيَّ، أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَطِيبُ، قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ رَحَلَ بِهِ أَبُوهُ مِنْ سِجِسْتَانَ، يَطُوفُ بِهِ شَرْقًا وَغَرْبًا بِخُرَاسَانَ وَالْجِبَالِ وَأَصْبَهَانَ وَفَارِسَ وَالْبَصْرَةَ وَبَغْدَادَ وَالْكُوفَةَ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالشَّامَ وَمِصْرَ وَالْجَزِيرَةَ وَالشُّعُورَ، يَسْمَعُ وَيَكْتُبُ.

وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ، وَصَنَّفَ (الْمُسْنَدَ)، وَ(السُّنَنَ)، وَ(التَّفْسِيرَ)، وَ(الْقِرَاءَاتِ)، وَ(النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ)، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَكَانَ فَقِيهًا، عَالِمًا، حَافِظًا.

قُلْتُ: وَكَانَ رَئِيسًا عَزِيزَ النَّفْسِ، مُدَلِّلاً بِنَفْسِهِ. سَأَحْهَ اللَّهُ.

قَالَ أَبُو حَفْصٍ بْنُ شَاهِينَ: أَرَادَ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ صَاعِدٍ، فَجَمَعَهُمَا، وَحَضَرَ أَبُو عُمَرَ الْقَاضِي، فَقَالَ الْوَزِيرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ أَكْبَرُ مِنْكَ، فَلَوْ قُمْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ.

فَقَالَ الْوَزِيرُ: أَنْتَ شَيْخُ زَيْفٍ.

فَقَالَ: الشَّيْخُ الزَّيْفُ: الْكَذَّابُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ: مَنْ الْكَذَّابُ؟

قَالَ: هَذَا.

ثُمَّ قَامَ، وَقَالَ: تَتَوَهَّمُ أَنِّي أَذِلُّ لَكَ لِأَجْلِ رِزْقِي، وَأَنَّهُ يَصِلُ إِلَيَّ عَلَى يَدِكَ؟! وَاللَّهِ لَا أَخْذُ مِنْ يَدِكَ شَيْئًا.

قَالَ: فَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِرُ يَزِنُ رِزْقَهُ بِيَدِهِ، وَيَبْعَثُ بِهِ فِي طَبَقٍ عَلَى يَدِ الْخَادِمِ.

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَقُولُ:

قُلْتُ لِأَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ: أَلْقِ عَلَيَّ حَدِيثًا غَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ.

فَأَلْقَى عَلَيَّ حَدِيثَ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ أَسْمَاءَ حَدِيثَ: (لَا تُحْصِي فِيْحْصَى عَلَيْكَ). رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْبَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَجِبُ أَنْ تَكْتُبَهُ عَنِّي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ مَالِكٍ.

فَغَضِبَ أَبُو زُرْعَةَ، وَشَكَانِي إِلَى أَبِي، وَقَالَ: انْظُرْ مَا يَقُولُ لِي أَبُو بَكْرٍ.

وَيُرَوَّى بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ: أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ كَانَ يَمْنَعُ الْمُرَدَّ مِنْ حُضُورِ مَجْلِسِهِ، فَأَحَبَّ أَبُو دَاوُدَ أَنْ يُسْمِعَ ابْنَهُ مِنْهُ، فَشَدَّ عَلَى وَجْهِهِ لِحِيَّةً، وَحَضَرَ، فَعَرَفَ الشَّيْخُ، فَقَالَ: أَمِثْلِي يُعْمَلُ مَعَهُ هَذَا؟!

فَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَا. يُنْكَرُ عَلَيَّ سِوَى جَمْعِ ابْنِي مَعَ الْكِبَارِ، فَإِنْ لَمْ يُقَاوِمَهُمْ بِالْمَعْرِفَةِ، فَاحْرِمَهُ السَّمَاعَ.

حَدَّثَ بِهَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ السَّمَرَقَنْدِيِّ، حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّفَكْرِيُّ الزَّنْجَانِيُّ، قَالَ:

سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ بُنْدَارٍ الزَّنْجَانِيَّ، قَالَ:

كَانَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ يَمْنَعُ الْمُرَدَّ مِنَ التَّحْدِيثِ تَنْزَهًُا... فَذَكَرَهَا، وَزَادَ: فَاجْتَمَعَ طَائِفَةٌ، فَغَلَبَهُمُ الْإِبْنُ بِفَهْمِهِ، وَلَمْ يَرَوْا لَهُ أَحْمَدَ بَعْدَهَا شَيْئًا، وَحَصَلَ لَهُ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ، فَأَنَا أَرْوِيهِ.

قُلْتُ: بَلْ أَكْثَرُ عَنْهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: سَأَلْتُ الدَّارِقُطَنِيَّ عَنِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ، فَقَالَ: ثِقَّةٌ، كَثِيرُ الْخَطَا فِي الْكَلَامِ عَلَى الْحَدِيثِ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ فِي كَامِلِهِ ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنَا شَرَطْنَا أَنَّ كُلَّ مَنْ تُكَلِّمُ فِيهِ ذَكَرْنَاهُ لَمَا ذَكَرْتُ ابْنَ أَبِي دَاوُدَ.

قَالَ: وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَبُوهُ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أُورْمَةَ، وَيُنْسَبُ فِي الْإِبْتِدَاءِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّصَبِ.

وَنَفَاهُ ابْنُ الْفَرَاتِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى وَاسِطَ، ثُمَّ رَدَّهُ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، فَحَدَّثَ، وَأَظْهَرَ فَضَائِلَ عَلِيٍّ ثُمَّ تَحَنَّبَ فَصَارَ شَيْخًا فِيهِمْ، وَهُوَ مَقْبُولٌ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ.

وَأَمَّا كَلَامُ أَبِيهِ فِيهِ، فَلَا أَذْرِي أَيْشَ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُ؟ وَسَمِعْتُ عَبْدَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ يَقُولُ: مِنَ الْبَلَاءِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ يَطْلُبُ الْقَضَاءَ.

ابْنُ عَدِيٍّ: أَنَبَانَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّاهِرِيُّ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَمْرٍو كُرُكْرَةً، سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنَ الْجُنَيْدِ، سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ، يَقُولُ: ابْنِي عَبْدُ اللَّهِ كَذَّابٌ.

قَالَ ابْنُ صَاعِدٍ: كَفَانَا مَا قَالَ فِيهِ أَبُوهُ.

ابْنُ عَدِيٍّ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ الْقَاسِمِ الْأَشْيَبِ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيَّ، يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ كَذَّابٌ.

ابْنُ عَدِيٍّ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْبَغَوِيَّ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي دَاوُدَ رُقْعَةً، يَسْأَلُهُ عَنْ لَفْظِ حَدِيثِ لِحْدِهِ، فَلَمَّا قَرَأَ رُقْعَتَهُ، قَالَ: أَنْتَ عِنْدِي وَاللَّهِ مُنْسَلَخٌ مِنَ الْعِلْمِ.

قَالَ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الصَّحَّاحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي عَاصِمٍ، يَقُولُ: أَشْهَدُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَنْدَةَ بْنِ يَدِي اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ بْنِ يَدِي اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: رَوَى الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: حَفِيتُ أَظْفِيرَ فُلَانٍ، مِنْ كَثْرَةِ مَا كَانَ يَتَسَلَّقُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ .

قُلْتُ: هَذَا بَاطِلٌ وَإِفْكٌ مُبِينٌ، وَأَيْنَ إِسْنَادُهُ إِلَى الزُّهْرِيِّ؟ ثُمَّ هُوَ مُرْسَلٌ، ثُمَّ لَا يُسْمَعُ قَوْلُ الْعَدُوِّ فِي عَدُوِّهِ، وَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا صَدَرَ مِنْ عُرْوَةَ أَصْلًا، وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ إِنْ كَانَ حَكَى هَذَا، فَهُوَ خَفِيفُ الرَّأْسِ، فَلَقَدْ بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ضَرْبِ الْعُنُقِ شِبْرٌ، لِكَوْنِهِ تَفَوَّهَ بِمِثْلِ هَذَا الْبُهْتَانِ، فَقَامَ مَعَهُ، وَشَدَّ مِنْهُ رَيْسَ أَصْبَهَانَ؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَفْصِ الْهَمْدَانِيِّ الذَّكَوَانِيِّ، وَخَلَّصَهُ مِنْ أَبِي لَيْلَى أَمِيرِ أَصْبَهَانَ، وَكَانَ انْتَدَبَ لَهُ بَعْضُ الْعُلُوِّيَّةِ خَصْمًا، وَنَسَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الْمَقَالَةَ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مَنْدَةَ الْحَافِظُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْأَخْرَمُ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْجَارُودِ، وَاشْتَدَّ الْحُطْبُ، وَأَمَرَ أَبُو لَيْلَى بِقَتْلِهِ، فَوَثَبَ الذَّكَوَانِيُّ، وَجَرَحَ الشُّهُودَ مَعَ جَلَالَتِهِمْ، فَنَسَبَ ابْنُ مَنْدَةَ إِلَى الْعُقُوقِ، وَنَسَبَ أَحْمَدُ إِلَى أَنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا، وَتَكَلَّمَ فِي الْآخِرِ، وَكَانَ الْهَمْدَانِيُّ الذَّكَوَانِيُّ كَبِيرَ الشَّانِ، فَقَامَ، وَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، وَخَرَجَ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو لَهُ طَوْلَ حَيَاتِهِ، وَيَدْعُو عَلَى أَوْلَيْكَ الشُّهُودَ.

حَكَاهَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ، ثُمَّ قَالَ: فَاسْتَجِيبَ لَهُ فِيهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرَقَ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَلَطَ وَفَقَدَ عَقْلَهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْرَقُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ أَبِي دَاوُدَ يَقُولُ: كُلُّ النَّاسِ مِنِّي فِي حِلٍّ إِلَّا مَنْ رَمَانِي بِيُغْضِرَ عَلَيَّ .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَدِيٍّ: كَانَ فِي الْإِبْتِدَاءِ يُنْسَبُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّصَبِ، فَنفَاهُ ابْنُ الْفَرَاتِ مِنْ بَعْدَادَ إِلَى وَاسِطَ، فَردَّهُ ابْنُ عَيْسَى، فَحَدَّثَ، وَأَظْهَرَ فَضَائِلَ عَلِيٍّ ثُمَّ تَحَنَّلَ، فَصَارَ شَيْخًا فِيهِمْ.

قُلْتُ: كَانَ شَهْمًا، قَوِيَ النَّفْسِ، وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ جَرِيرٍ، وَبَيْنَ ابْنِ صَاعِدٍ وَبَيْنَ الْوَزِيرِ؛ ابْنِ عَيْسَى الَّذِي قَرَّبَهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَطَّانُ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ، فَقِيلَ: ابْنُ أَبِي دَاوُدَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ فَضَائِلَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ.

فَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: تَكْبِيرَةٌ مِنْ حَارِسٍ.

قُلْتُ: لَا يُسْمَعُ هَذَا مِنْ ابْنِ جَرِيرٍ لِلْعَدَاوَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الشَّيْخَيْنِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: سَمِعْتُ الْحَافِظَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْخَلَّالَ يَقُولُ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَحْفَظَ مِنْ أَبِيهِ؛ أَبِي دَاوُدَ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ النَّقَاشُ الْمُفَسِّرُ - وَلَيْسَ بِمُعْتَمَدٍ - أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ ابْنَ أَبِي دَاوُدَ يَقُولُ: إِنَّ فِي تَفْسِيرِهِ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ.

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ الهمداني الحافظ: كَانَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ إِمَامَ الْعِرَاقِ وَنَصَبَ لَهُ السُّلْطَانُ الْمُنْبَرِ، وَكَانَ فِي وَقْتِهِ بِنَعْدَادَ مَشَايخِ أَسْنَدِ مِنْهُ، وَلَمْ يَبْلُغُوا فِي الْآلَةِ وَالْإِتْقَانِ مَا بَلَغَ.

قُلْتُ: لَعَلَّ قَوْلَ أَبِيهِ فِيهِ - إِنَّ صَحَّ - أَرَادَ الْكَذِبَ فِي هَجَّتِهِ، لَا فِي الْحَدِيثِ، فَإِنَّهُ حُجَّةٌ فِيمَا يَنْقُلُهُ، أَوْ كَانَ يَكْذِبُ وَيُورِّي فِي كَلَامِهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَبَدًا، فَهُوَ أَرْعَنَ، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ مِنْ عَشْرَةِ الشَّبَابِ، ثُمَّ إِنَّهُ شَاخَ وَارَعَوَى، وَلَزِمَ الصَّدَقَ وَالتَّقَى.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ: كَانَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ زَاهِدًا نَاسِكًا، صَلَّى عَلَيْهِ يَوْمَ مَاتَ نَحْوَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ، وَأَكْثَرَ.

قَالَ: وَمَاتَ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، وَخَلَّفَ ثَلَاثَةَ بَنِينَ: عَبْدَ الْأَعْلَى، وَمُحَمَّدًا، وَأَبَا مَعْمَرٍ عُبَيْدَ اللَّهِ، وَخَمْسَ بَنَاتٍ، وَعَاشَ سَبْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ ثَمَانِينَ مَرَّةً.

نَقَلَ هَذَا أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ.

قَالَ الْمُحَدِّثُ؛ يُوْسُفُ بْنُ الْحَسَنِ التَّفَكُّرِيِّ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ بُنْدَارٍ الزُّنْجَانِيَّ قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ يَمْتَنِعُ عَلَى الْمُرْدِ مِنَ التَّحْدِيثِ تَوَرُّعًا، وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَسْمَعُ مِنْهُ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ أَمْرُدٌ، فَاحْتَالَ بِأَنْ شَدَّ عَلَى وَجْهِهِ قِطْعَةً مِنْ شَعْرٍ، ثُمَّ أَحْضَرَهُ، وَسَمِعَ، فَأُخْبِرَ الشَّيْخُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَمِثْلِي يُعْمَلُ مَعَهُ هَذَا؟

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَا تُنْكَرُ عَلَيَّ، وَاجْمَعْ ابْنِي مَعَ شُيُوخِ الرُّوَاةِ، فَإِنْ لَمْ يُقَاوِمُهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ فَاحْرِمْهُ السَّمَاعَ.

إِسْنَادُهَا مُنْقَطِعٌ.

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الدَّاهِرِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي دَاوُدَ عَنْ حَدِيثِ الطَّيْرِ، فَقَالَ: إِنَّ صَحَّ حَدِيثُ الطَّيْرِ فَنُبُوَّةُ النَّبِيِّ بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ حَكَى عَنْ حَاجِبِ النَّبِيِّ خِيَانَةً - يَعْنِي: أَنَسًا - وَحَاجِبِ النَّبِيِّ لَا يَكُونُ خَائِنًا.

قُلْتُ: هَذِهِ عِبَارَةٌ رَدِيئَةٌ، وَكَلَامٌ نَحْسٌ، بَلْ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ حَقٌّ قَطْعِيٌّ، إِنْ صَحَّ خَبَرُ الطَّيْرِ، وَإِنْ لَمْ يَصَحَّ، وَمَا وَجْهُ الِازْتِبَاطِ؟ هَذَا أَنَسٌ قَدْ خَدَمَ النَّبِيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِمَ، وَقَبْلَ جَرَيَانِ الْقَلَمِ، فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ قِصَّةُ الطَّائِرِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ.

فَرَضْنَا أَنَّهُ كَانَ مُحْتَلِمًا، مَا هُوَ بِمَعْصُومٍ مِنَ الْخِيَانَةِ، بَلْ فَعَلَ هَذِهِ الْجَنَائَةَ الْخَفِيفَةَ مُتَأَوِّلًا، ثُمَّ إِنَّهُ حَبَسَ عَلِيًّا عَنِ الدُّخُولِ كَمَا قِيلَ، فَكَانَ مَاذَا؟ وَالِدَعْوَةُ النَّبَوِيَّةُ قَدْ نَفَذَتْ وَاسْتُجِيبَتْ، فَلَوْ حَبَسَهُ، أَوْ رَدَّهُ مَرَّاتٍ، مَا بَقِيَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَدْخُلَ وَيَأْكُلَ مَعَ الْمُصْطَفَى سِوَاهُ إِلَّا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ قَصَدَ بِقَوْلِهِ: (إِيتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ، يَأْكُلُ مَعِيَ) عَدَدًا مِنَ الْخِيَارِ، يَصْدُقُ عَلَى مَجْمُوعِهِمْ أَنَّهُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ، كَمَا يَصُحُّ قَوْلُنَا: أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ الصَّالِحُونَ، فَيَقَالُ: فَمَنْ أَحَبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ؟

فَنَقُولُ: الصَّادِقُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ.

فَيَقَالُ: فَمَنْ أَحَبُّ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ إِلَى اللَّهِ؟

فَنَقُولُ: مُحَمَّدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَالْخَطْبُ فِي ذَلِكَ يَسِيرٌ.

وَأَبُولُبَابَةَ - مَعَ جَلَالَتِهِ - بَدَتْ مِنْهُ خِيَانَةٌ، حَيْثُ أَشَارَ لِبَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى حَلْقِهِ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَحَاطِبٌ بَدَتْ مِنْهُ خِيَانَةٌ، فَكَاتَبَ قُرَيْشًا بِأَمْرِ تَخَفَى بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ غَزْوِهِمْ، وَغَفَرَ اللَّهُ لِحَاطِبٍ مَعَ عِظَمِ فِعْلِهِ .

وَحَدِيثُ الطَّيْرِ - عَلَى ضَعْفِهِ - فَلَهُ طُرُقٌ جَمَّةٌ، وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا فِي جُزْءٍ، وَلَمْ يَثْبُتْ، وَلَا أَنَا بِالْمُعْتَقِدِ بُطْلَانَهُ، وَقَدْ أَخْطَأَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي عِبَارَتِهِ وَقَوْلِهِ، وَلَهُ عَلَى خَطِيئِهِ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الثَّقَةِ أَنْ لَا يُحْطَى وَلَا يَغْلَطَ وَلَا يَسْهُوَ.

وَالرَّجُلُ فَمِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَوْثَقِ الْحَفَازِ .

قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ الْأَعْلَى: تُوُفِّيَ أَبِي وَلَهُ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَشْهُرٌ. اهـ من ترجمته في [[سير أعلام النبلاء]] (١٣ / ٢٢٢) وما بعدها.



متن حائية ابن أبي داود

- ١- تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى
 - ٢- وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
 - ٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِكِنَا
 - ٤- وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا
 - ٥- وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قَرَأْتُهُ
 - ٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً
 - ٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
 - ٨- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا
 - ٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ
 - ١٠- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ
 - ١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 - ١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
 - ١٣- يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا
 - ١٤- رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ
 - ١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 - ١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
 - ١٧- وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ
 - ١٨- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ
- وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحَ
- أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبُحُ
- بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
- كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْهُمْ وَأَسْجَحُوا
- فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوَضِّحُ
- كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
- وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ
- بِمُضْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَرِّحُ
- فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجَحُ
- وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
- بَلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ
- فَتَفْرُجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
- وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَاْمُنَحُ
- أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا
- وَزِيرَاهُ قَدَمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ
- عَلِيٌّ حَلِيفُ الْحَيْرِ، بِالْحَيْرِ مُنْجَحُ
- عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ
- وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ

- ١٩- وَعَاشِشُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالِنَا
٢٠- وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ
٢١- وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَالتَّابِعُونَ بِحُسْنِ مَا
٢٢- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
٢٣- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ
٢٤- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَتَقِنُ فَإِنَّهُ
٢٥- وَلَا تُنْكِرُنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا
٢٦- وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ
٢٧- عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ نَحْيًا بِمَائِهِ
٢٨- فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ
٢٩- وَلَا تُكْفِرْنَ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا
٣٠- وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ
٣١- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ
٣٢- وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
٣٣- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
٣٤- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ
٣٥- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلْهَوُ بِدِينِهِمْ
٣٦- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ
- مُعَاوِيَةَ أَكْرِمَ بِهِ فَهُوَ مُصْلِحٌ
بَنَصْرَهُمْ عَنْ ظَلَمَةِ النَّارِ زَحْزُحُوا
حَذُوا حَذْوَهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأُفْلِحُوا
وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
وَفِي الْفَتْحِ آيٍ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
دِعَامَةً عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينِ أَفِيحُ
وَلَا الْخَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ
فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
مَقَالَ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالْدِّينِ يَمْزَحُ
وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ
بَطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزَنِ يَرْجَحُ
فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيئٍ وَتُصْبِحُ

تم النظم والحمد لله



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله، وصحبه، ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإن من وسائل تحصيل العلم، وبثه نظم العقائد والفنون من أجل سهولة الحفظ، وتقريب العلوم وبيان ما عليه العالم في هذا الباب لأن الشعر محبوب إلى النفوس لسلاسته ولطافة عبارته.

ومن العقائد السلفية المنظومة حائية ابن أبي داود. وهو أبوبكر: عبدالله بن سليمان السجستاني أبوه صاحب السنن.

ومنها الكافية الشافية لابن قيم الجوزية، واللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، والسفارينية، وسلم الوصول، وكم من العقائد المنظومة والمنثورة، وكل يسعى في تقريب العلوم للمسلمين على حسب اجتهاده.

وهذه الحائية التي نظمها الإمام أبوبكر، هي بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة، وقد تناقلها العلماء، وشرحوها، وحفظوها، واستدلوا بأبيات منها، في نبد التقليد والحث على متابعة الدليل، وهذه القصيدة بعينها مذكورة في آخر كتاب الشريعة للأجري ، ختم بها كتابه؛ لأن ناظمها كما قال: صار على معتقد أهل السنة والجماعة، وكانوا ينتسبون لبيان صفاء معتقدهم، وسلامة منهجهم إلى الإمام المبجل: أحمد بن محمد بن حنبل لأنه أُبتلي فصبر، وصدع بالحق في وقت سكت الناس خوفاً من الدولة، والمبتدعة، أو موافقة في باطلهم بسبب طمع دنيوي، أو خوف من سطوتهم.



الحث على التمسك بالكتاب والسنة

قال رحمه الله:

- ١- تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحَ
٢- وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبَحَ

الشرح:

افتتح حائيته، بالدعوة إلى ما أمر الله به، من الاعتصام بكتاب الله، والأخذ بسنة رسول الله ، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، فجعل الله تعالى التمسك بالحق، والهدى إحسان وإصلاح وفعلاً إنه إحسان فيما بين العبد وبين الله بتوحيده وطاعته واتباع سنة نبيه وإصلاح للحال والمآل.

وحبل الله هو القرآن كما في حديث زيد بن أرقم عند مسلم وغيره: «أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». وفي بعض الروايات: «وعترتي» وليس معنى ذلك ما ذهب إليه الرافضة - الشيعة -، من التعظيم غير الشرعي لآل البيت، وإنما المراد: تمسكوا بكتاب الله وبسنة رسول الله ، واعرفوا لأهل البيت الصالحين قدرهم ومنزلتهم على ما يأتي بيانه. وفي بيان حبل الله قال النبي : «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ ، هُوَ

حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ». وفي رواية: «كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ».

شاهدنا: (أن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فمن أخذ به نجا، ومن تركه ضل وغوى) فالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما هو حبل الله المتين الذي لا ينقطع، والذي يوصل إلى مرضاة رب العالمين، ويوصل إلى جنة النعيم، قال الله: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالتمسك بالكتاب والسنة فيهما النجاة، ولهذا نقل الزهري عن علمائه، ومنهم الصحابة: أدركت كثيرًا من علمائنا يقولون: التمسك بالسنة نجاة. أخرجه الدارمي في مقدمة سننه وفعلاً نجاة في الدنيا من البدع وفي الآخرة من العذاب نسأل الله العون والسداد.

ويدل على أهمية التمسك بالكتاب، والسنة: ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث العرباض بن سارية: صلى بنا رسول الله ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرّفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأنّ هذه موعظةٌ مودّعة، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش

مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

والأدلة في الأمر بالتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله كثيرة ومتواترة، منشورة ومبثوثة في المختصرات والمطولات، فأقرب المراجع: كتاب رياض الصالحين، وقد بوب الإمام النووي باب لزوم السنة، وكتاب الاعتصام من صحيح البخاري، وكتاب العلم من صحيح مسلم، وكتاب الشريعة للأجري، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، والسنة لعبدالله بن أحمد وغير ذلك من الكتب المصنفة والمؤلفة الحاثثة على إتباع سنة رسول الله التي بها النجاة وفي حديث عبدالله بن عمرو: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شَرَّةً، وَلِكُلِّ شَرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ».

فإن تمسكت بحبل الله ، واعتصمت به كنت من المهتدين، المهدين، وكنت من أهل البر والصلاح الذين وصفوا بقول الله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى مبيناً صفات المؤمنين، التمسكين، المهتدين: ﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُفْقُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢١﴾
 أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ١-٥] وفي هذا بيان على
 أن مصدر التشريع عند أهل السنة الكتاب والسنة والإجماع وتقدمت الأدلة
 على الكتاب والسنة وإمام الإجماع فدليله قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ
 بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ
 وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والبحث عن طريق الهداية أمر مطلوب، ومرغب فيه، ومن بحث عن شيء
 حصل عليه، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْمَوْتَ قِيلَ لَهُ: يَا
 أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَوْصِنَا، قَالَ: أَجْلِسُونِي، فَقَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ
 ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالتَّمَسُّوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ،
 عِنْدَ عُوَيْمِرِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعِنْدَ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ:
 «إِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةٍ فِي الْجَنَّةِ». وَفِي الْبَابِ عَنْ سَعْدٍ. وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

ومن سار على الدرب وصل، وقد أمر الله بسؤاله الهداية حيث شرع لنا
 في الصلاة أن نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾، وسؤال الله الهداية، من أعظم وسائل
 الثبات، فلهذا ذهب العلماء إلى أن من أعظم وسائل الانحراف، هو عدم سؤال
 الهداية من الله ، ولأهمية هذا السؤال أمر الله به أن يتلى في كل ركعة من
 الركعات، فإذا لم يأت المرء بهذا السؤال العظيم فصلاته باطلة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ﴾.

والصراط: هو الطريق الموصل إلى الله، وهو الإسلام، سبيل الموحدين، السبيل الذي يناقض ما عليه اليهود (المغضوب عليهم) تركوا العمل بالعلم فغضب الله عليهم، والنصارى (الضالون) عملوا بغير علم فضلوا فمن علم ولم يعمل من هذه الأمة ففيه شبه باليهود ومن عمل ولم يعمل ففيه شبه بالنصارى والضلال من أسباب غضب الله على العبد والغضب من لوازمه الضلال ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله: (وَاتَّبِعِ الْهُدَى) حث على الإتيان وهذه طريقة السلف فعمرو بن عبدالعزيز يقول: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)، وسفيان يقول: (وجدنا الأمر كله في الإتيان) والإتيان هو سبيل المؤمنين: ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فالأخذ بالدليل يسمى اتباعاً والتقليد ضده وهو قبول أقوال العلماء مجردة عن الأدلة حتى قيل:

تَقْلِيدُنَا قَبُولُ قَوْلِ الْقَائِلِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ حُجَّةٍ لِلِسَائِلِ

والإتيان دين المؤمنين والتقليد دين الكافرين قال الله لنبيه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقال في شأن الكافرين ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ عَآثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

قوله : (وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحَ) البدعة: هي الدين الذي لم يأذن الله به. فمن عمل عملاً يريد التقرب به إلى الله ولم يأذن الله به فهو بدعة، وقد تقدم الحديث: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ». وكم من الذين يتعاطون البدع وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهم مسيئون من جهة أنهم شرعوا ما لم يشرعه الله ، وهو يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] ومن جهة أن لازم صنيعهم هذا أن الدين ناقص وهم الذين أكملوه بهذه البدعة، مع أن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. واعلم أن البدعة أخطر من المعصية؛ لأن العاصي يتوب، والمبتدع قد لا يوفق للتوبة؛ لأنه يحسب أنه يحسن صنعا، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣]. فالبدعة ضلال، والسنة فلاح؛ لما تقدم من الأدلة. والبدعة هلاك: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، هكذا يقول النبي كما في مسلم عن عبد الله بن مسعود . وفي الحديث السابق: «وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» أي: من كانت فترته إلى البدعة فقد هلك، وضل وغوى: «وَيَايَاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» كما تقدم في حديث العرباض.

والفلاح ضد الهلاك، ومن أسبابه المصابرة على هذا الدين، والأخذ به وتعلمه والعمل به: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ومن أسبابه سلوك سبيل الهداية، كما تقدمت آيات سورة البقرة، ومن أسبابه ما ذكره الله في أوائل سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ (٥)

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ١-٧]، الآيات ومعها الأخذ بالدين الحق كما صح عن رسول الله ﷺ قد افلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه. أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو.

قوله : (وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي) أي اعمل، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] أي: بالعلم النافع والعمل الصالح، وليكن ديدنك وديدنك الأخذ بالكتاب والسنة، والرسول كما في حديث زيد بن أرقم، ترك فينا الكتاب والسنة، ومن أخذ بالكتاب والسنة رشد، (فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ) أخرجه مسلم. ومن أخذ بالكتاب والسنة قاده إلى الجنة، فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَا حُلُّ مُصَدِّقٍ، فَمَنْ جَعَلَهُ إِمَامًا قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ». ومن أخذ بالكتاب والسنة سلم من الزيغ، وسلم من الانحراف، وسلم مما يضاد المنهج السلفي؛ لأن الكتاب والسنة معصومان عن الزلل، ومحفوظان من التحريف والتغيير، قال الله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والسنة: هي الطريقة في الخير أو الشر، قال الشاعر:

وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

أي: طريقتهما، لكن عند الإطلاق يُراد بها رسول الله ﷺ والسنة السيئة ليست من الدين: ففي حديث جرير عند مسلم «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ

شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

قوله: (أَنْتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبِحُ) أي أن الطريقة التي يجب عليك أخذها هي التي صحت عن رسول الله ﷺ وقلت صحت لأن المنقول عن النبي ﷺ منه الموضوع ومنه الأحاديث ضعيفة والواجب علينا الأخذ بما صح عن النبي ﷺ اعتقاداً أو عملاً والسنة في عرف المحدثين واصطلاحهم غير السنة في عرف الفقهاء واصطلاحهم، فإن السنة الفقهاء هي المندوب الذي يثاب فاعله امتثالاً ولا يستحق العقاب تاركه، بينما أهل الحديث: يطلقون السنة على أعم من ذلك: فهي طريقة النبي ﷺ في اعتقاده وأفعاله، وأقواله، فمن لزم طريقة النبي ﷺ فهو على سنة وهدى، ومن خالف ذلك فهو من أصحاب الزيغ والردى، ويدخل في السنة في المعنى الاصطلاحي عند المحدثين: كل معتقدات الدين وكل أوامره، وكل النواهي، ولهذا صنف كتب السنة مثل: كتاب السنة لابن أبي عاصم، وكتاب السنة للإمام عبد الله بن أحمد، والسنة للخلال، ويذكرون فيها: الاعتقادات فإذا أخذت بالسنة نجوت من البدعة ونجوت من سخط الله وعذابه وقد تقدم قول الزهري: (أدركت كثيراً من علمائنا يقولون: التمسك بالسنة نجاة). وهم ناجون أيضاً من مكر أعدائهم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. وهم ناجون من التخاذيل من الداخل، فعن معاوية ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» متفق عليه، وقد صح عن جمع من الصحابة، منهم: ثوبان والمغيرة وجابر .

فتلخص لنا فيما تقدم من هذا المتن العظيم، وهذا الشعر النفيس لهذا الإمام، الحث على السنة والتمسك بها، والبعد عن البدعة والنهي عنها؛ لأن الفلاح في السنن، والعطب في البدع، والسبيل إلى الفلاح هو الأخذ بالكتاب والسنة، ولهذا قال: (ودن بكتاب الله والسنن التي..) إذا أردت أن تفلح فدن بكتاب الله، اجعله ديناً، واجعله بغيتك واجعله قائداً، فالرسول قال: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةُ: مُحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ». أخرجه أحمد عن النواس بن سمعان .

ورضي الله عن حذيفة إذ يقول: (من قال بالقرآن أفلج) فإذا استدلت بالقرآن، والحديث، تخصم كل من خالفك، قال ابن عبد البر: (من قال بالقرآن قويت حجته)، وقال بعضهم: (من حفظ الحديث أفلج) أي فلج خصمه؛ كما قال الله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وكما قيل: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وما سُمي أهل السنة بهذا الاسم إلا لأخذهم بالكتاب والسنة، ومن أسماهم أهل الحديث لأخذهم بحديث النبي ومن أسماهم أهل الأثر لتقديمهم آثار النبي وطريقة أصحابه في فهمها على الرأي والأقيسة

الفاصلة ومن أسمائهم السلفيون لأخذهم لطريقة السلف رضوان الله عليهم فتسميتهم بهذه الاسماء ثابتة لهم لفظاً ومعنى وسمي أهل الكلام بهذا الاسم لبعدهم عن الكتاب والسنة، وأخذهم بكلام الرجال المجرد عن الأدلة المخالف لها، وسمي أهل البدع بهذا الاسم، لتركهم السنن وأخذهم بالمحدثات، وسمي أهل الرأي بهذا الاسم: لتركهم السنن وأخذهم بآراء الرجال.

ثم تكلم على فضائل الصحابة، والاهتمام بفضائلهم أمر حتم، والدفاع عنهم دفاع عن الإسلام، ودفاع عن العقيدة؛ لأنهم حملة الأخبار ونقلتها؛ ولأنهم الأنصار الذين ناصروا الدين، وناصروا النبي الكريم، كلهم أنصار، المهاجرون أنصار، والأنصار أنصار، من حيث الإطلاق، ولهذا ما من كتاب ألف وصنف في هذا الباب إلا وتجد فضائل الصحابة فيه، ككتاب السنة لابن أبي عاصم، و الشريعة للأجري، بل أغلبه في فضائل الصحابة، وكتاب صحيح البخاري، وكتاب صحيح مسلم، و فضائل الصحابة للإمام أحمد، وكم من كتب ألفها الشيخ مقبل مثل الجامع الصحيح يذكر فيه فضائل الصحابة، و إحداد الخميني في أرض الحرمين و صعقة الزلزال على أهل الرفض والاعتزال و إرشاد ذوي الفطن إلى إخراج غلاة الروافض من اليمن وهكذا؛ لأن الطعن في الصحابة طعن في الدين، وهدم للدين من أساسه؛ لأنك إذا قلت: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ... قال لك الرافضي: أبوهريرة كذاب! عن أبي موسى الأشعري.. قالوا: كذاب! معاوية، قالوا: كافر! وأبوبكر.. ظالم، عثمان.. عمر.. وهكذا، فما بقي لنا من الدين إذا كان حملته، ونُقَّاله، ووزراء النبي

مطعون فيهم، وليسوا بعدول، وجُعل الطعن فيهم علامة الخذلان، وسلم الحرمان، والطعن فيهم من سمات الخوارج والنواصب والروافض الباطنية، وهم أشدهم حتى عرفوا بهذا الوصف، فالدفاع عن الصحابة من ديننا، ولأن نُسب نحن والله أهون علينا من أن يسب أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، وغيرهم، ولأن يُطعن في أعراضنا أهون من أن يطعن في عرض رسول الله ، وتتهم عائشة بما برأها الله منه.

فالدفاع عن الصحابة دفاع عن الدين، زد على ذلك أن نقل فضائلهم نقل للكتاب والسنة، فالله قد ذكر فضائلهم، وأثنى عليهم في غير ما آية وفي غير ما سورة، والنبى أثنى عليهم، ألا نثني ونحب من أثنى عليه الله ، وأثنى عليه رسول الله ؟ بلى وربي، وصدق رسول الله حيث قال لأبي هريرة: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ»** فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.

فما يبغضه إلا الروافض؛ لأنه نقل الأخبار التي تدل على فساد أقوالهم، وعلى فساد أفعالهم، وهم من أهل النفاق الاعتقادي، والزندقة الجليلة



القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

قال رحمه الله:

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

الشرح:

بعد هذه المقدمة شرع في بيان معتقد أهل السنة، والجماعة، في أن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود (منه بدأ) يدل عليه: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، إليه يعود: يدل عليه حديث حذيفة قال النبي: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى صِيَامٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسْكٌ وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ يَقُولُ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنَحْنُ نَقُولُهَا» قَالَ لَهُ صَلَّةٌ: فَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ صِيَامًا، وَلَا صَدَقَةً، وَلَا نُسْكًا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ فَرَدُّوَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، ثُمَّ قَالَ: يَا صَلَّةُ تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ. أخرج ابن ماجه في سننه برقم (٤٠٤٩).

وأهل البدع حين قالوا كلام الله مخلوق أرادوا أن يتوصلوا إلى أن أسماء الله وصفاته مخلوقة وأنها مجاز ومعنى ذلك أنه تعالى لا صفات له تعالى.

ومعنى كلامه : قل أيها السني كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وهذا هو المعتقد الصحيح، في أن الله يتكلم متى شاء وكيف شاء بما

شاء، ويتكلم بحرف وصوت، والدليل على الحرف قول الله : ﴿يَمُوسَى﴾ ،
﴿يَكَادُمْ﴾ ، والكلام يتكون من حروف، وكلمات، والدليل على الصوت:
﴿وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، والنداء يكون بصوت
مرتفع، والمناجاة تكون بصوت خافت، وفي حديث أبي سعيد عند
البخاري قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ : «يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ
رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ،
قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ، قَالَ: تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً
وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا
هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ
وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ : «مَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ،
وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ
كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَا رَجُوْ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»
فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا».
أخرج مسلم بعضه.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: بَلَغَنِي
حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ
رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ، فَقَالَ
لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطُؤُ
تَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ، عُرَاءَ غُرْلًا

بِهِمَا»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بِهِمَا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةِ»، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عُرَاةً غُرًّا بِهِمَا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ». الحديث علقه البخاري في صحيحه وأخرجه أحمد وغيره وفيه عبدالله بن محمد بن عقيل ضعيف ويحسن له البخاري وغيره ولمعنى الحديث شواهد تدل عليه.

فهذا معتقد أهل السنة: أن الله يتكلم متى شاء وكيف شاء، وأن الله يتصف بهذه الصفة حقيقة، وأن إثبات صفة الكلام لا يستلزم نقصاً بل هي كمال، وكل كمال ثبت للمخلوق، ويجوز لله أن يتصف به فالله أولى به، ولهذا عيّر إبراهيم عليه السلام أباه بقوله: ﴿يَتَأْتَى لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، وعيّر قومه وقال: ﴿فَسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [١٣] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٦٤] ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [٦٥] ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [٦٦] ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣-٦٧]، والذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ناقص، مخلوق مربوب بينما الله له الصفات العلا، ومما يدل على إثبات هذه الصفة قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فأكرها بالمصدر ليدل على حقيقته ويرفع دعوى المجاز وقوله: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، في آيات كثيرات بينات منها قوله

تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. فالمخلوقات توجد بأمره وهو كلامه ولو كان الكلام مخلوق للزمن أن يوجد بأمر آخر وللزمن التسلسل، وقد فرق الله بين الخلق والأمر، فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

وصح عن النبي أنه أمر وأن يستعاذ بكلمات الله التامات كما في مسلم عن أبي هريرة، وعن خولة بنت حكيم السلمية، تقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»، وفي المسند عن أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ، كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ قَالَ: جَاءَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَارْعَبَ، قَالَ جَعْفَرٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: جَعَلَ يَتَأَخَّرُ، قَالَ وَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ، قَالَ: «مَا أَقُولُ»، قَالَ: قُلْ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يُخْرِجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا

رَحْمَنُ» فَطَفَّتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَلَوْ كَانَتْ الْكَلِمَاتُ مَخْلُوقَةً كَمَا يَقُولُ
الجهمية والمعتزلة، لما جاز الاستعاذة بالمخلوق، والنبى معصوم من الشرك
بل قد قال الله له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:
٦٥].

ومن الأدلة أن كلام الله صفة له أن الكلام معنى يقوم بغيره، ما يقال رأيت
كلام زيد يمشي في الشارع، أو رأيت كلام عمرو يسير في السيارة، هذا لا
يعقل، فالكلام يقوم بغيره، (إضافة المعنى الذي يقوم بغيره إلى الله إضافة صفة
إلى موصوف) وهذه قاعدة مهمة جداً من قواعد الأسماء والصفات، أي معنى
أضيف إلى الله تنظر إن كان مما يقوم بنفسه: بيت الله، ناقة الله، عبدالله،
إضافته إليه إضافة خلق، وملك، أو إضافة تشريف، وإن كانت معاني لا تقوم
بنفسها وإنما تقوم بغيرها فإضافتها إلى الله إضافة صفة إلى موصوف، كعين الله،
وسمع الله، وبصر الله، ووجه الله، وكلام الله.. وهكذا.

والسلف قد كفّروا من يزعم أن كلام الله مخلوق، ونقل اللالكائي في
أصول أهل السنة عن خمسمائة عالم تكفيرهم، ونظم هذا ابن القيم في نونيته
فقال:

وَاللَّالِكَايِيُّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِيُّ

والقرآن كلام الله الذي أنزله الله على محمد .

والمعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، وأحياناً يقولون: القرآن كلام الله،
ويريدون به مخلوق، ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يضيفون إلى هذا

المعتقد ما سَطَّر ودُون في كتب أهل السنة: (والقرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود).

وجاء الأشاعرة وزعموا تلبيساً منهم وإيهاماً: أن القرآن عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، وهذا القول الذي قاله الأشاعرة مؤداه إلى قول المعتزلة، كما بين ذلك ابن قدامة في حكاية المناظر التي تمت مع بعض الأشاعرة وفيه أن الأشاعرة لا يعتبرون القرآن المكتوب في المصاحف كلام الله، ولهذا عندهم وإن كان بعضهم لا يعترف بذلك ولا يشهره، لو أن إنسان امتهن مصحفاً معتمداً وداس عليه معتمداً أو بال أو غير ذلك ليس بكافر.

ويستدلون لقولهم الباطل على أن القرآن عبارة عن كلام الله أو حكياء عنه بقول الأخطل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

والبيت آحاد وهم لا يقبلون خبر الآحاد في العقيدة، وهو من حديث رسول الله ، وفي الصحيحين ، فكيف يردون حديث النبي ، الذي اتصل سنده، وعدلت رواته، وسلم من الشذوذ، والعلة ثم يعمدون إلى هذا البيت الذي لاخطام له ولا زمام. ثم إن البيت قاله نصراني، ولو سلمنا بإسلامه فهو رجل مؤلد ليس من شعراء العربية التي أقوالهم حجة في اللغة ومازالت عقيدته ملوثة بالتثليث وغيره من عقائد النصارى زد على ذلك أن البيت ليس في ديوان الأخطل، مع أن البيت قد وجد بلفظ: (إن البيان لفي الفؤاد).

لكن أهل البدع إذا سمعوا: قال الله، قال رسوله، قالوا: هذا آحاد والآحاد لا تثبت به العقائد وكم هدموا بهذه البدعة من عقائد وأضاعوا من سنن وواجبات وهذه بدعة معتزلية وإلا فكل ما ثبت وصح فإنهم عند الله قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، ولهم شبهة أخرى وهي أن الأحاديث ظنية الدلالة وظاهرها غير مراد.

ولما كان القرآن متواتراً، بحسب اصطلاحهم قالوا: ظاهره غير مراد، فإن قالوا: يلزم من إثبات الكلام إثبات اللسان والحبال الصوتية؟ نقول: هذا في كلام المخلوق، أما الله فإنه يتكلم بما شاء وكيف شاء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ثم ألم يتكلم الحصا بين يدي النبي كما في البخاري عن ابن مسعود، وعن جابر بن سمرة قال النبي: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» أخرجه مسلم، ويقول الله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، هذا بيان مختصر لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

ومن شبه المبتدعة على أن القرآن مخلوق قول الله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، مع أنهم يزعمون أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، رادين قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، قالوا: الله لا يخلق الشر، قلنا وإبليس من خلقه وهو رأس الشر وهم يأتون بهذه الشبه، وقالوا القرآن، داخل في عموم كل؟ قلنا لهم: وأفعال العباد لما أخرجتموها من عموم كل مع أن دخول أفعال العباد في عمومها اظهر وأوضح وهو المطابق للواقع.

والمراد بالآية عند أهل الحق والهدى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: كل شيء مخلوق، والدليل على أن كل يفيد العموم بحسبه قوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، والمساكن أشياء، ومع ذلك ما دمرتها الريح، ف(كل) تفيد العموم بحسبها أي تدمر كل شيء يقبل التدمير، وهكذا قول الله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أي: مما يؤتاه الملوك؛ لأنها ما أوتيت ملك سليمان.

وذهب بشر المريسي -لعنه الله- إلى أن القرآن مخلوق، قال: لأن الله قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، قال و(جعل) بمعنى خلق، قال له الكناني لما ناظره، أنت تقر بهذا وتعترف به؟ قال: نعم، كل (جعل) في القرآن، بمعنى: خلق، فقال له: فماذا تقول في قول الله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، هل هو بمعنى: خلقوا! ماذا تقول في قول الله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] أي: لا تخلقوا الله؟! فما كان منه إلا أن انقطع.

فتلخص من هذا أن كل دليل صحيح يستدل به أهل البدع على ضلالهم فإن في ذلك الدليل ما يبين ضلالهم.

ولهم شبه غير ذلك منها أن المراد يقول الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أي جَرَّحَ مع أن السياق والسباق لا يدل على ذلك بل المراد بالكلام على حقيقته وأنه بحرف وصوت على ما تقدم وقد أكدته بالمصدر تكليمًا فانتهى دعوى المجاز هنا.

وطلب أحدهم من أبي عمرو بن العلاء أن يقرأ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ) بفتح لفظ الجلالة؛ ليكون معنى الآية إن الله هو المكلّم لا المكلّم، فقال أبو عمرو: هب أني قرأتها لك كما تقول، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. أي: إن حرفت تلك لن تستطيع أن تحرف هذه؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور صفات الله .

وفي هذا إشارة إلى أن أسماء الله وصفاته غير مخلوقة بل هي صفات أزليه أبدية قال تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] وقد فسر رسول الله هذه الآية كما عند مسلم عن أبي هريرة :
 «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» برقم (٢٧١٣)،

والله موصوف بها، وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكليف ولا تمثيل بل هو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقد كتبت بعض القواعد في هذا الباب في كتاب ضوابط تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات وكتاب القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن .



الوقف في القرآن

قال رحمه الله:

٤- وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ جِهَنَّمَ وَأَسْجَحُوا

الشرح:

نهي عن التوقف في القرآن وصورته أن يقول لا أدري القرآن مخلوق أو غير مخلوق أو أنه يقول أنا أقول القرآن كلام الله وأسكت عن بقية الكلام، وسبب التوقف أنه لما انتصر الحق، وزهق الباطل في فتنة القول بخلق القرآن، ظهر قوم يقولون: (القرآن كلام الله) لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وهذا كلام موهم للحق، والباطل، فالمعتزلة يقولون: القرآن كلام الله، لكنه عندهم مخلوق، وليس من صفات الله والإضافة عندهم إضافة تشريف، ومعتقد أهل السنة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فحذر العلماء من الواقفة الذين يقولون: القرآن كلام الله ويتوقفون، فإن كان توقفهم صادرًا عن الشك أهو مخلوق أم لا، أو التليس مع اعتقادهم أنه مخلوق فكلا الأمرين كفر والعياذ بالله تعالى من الضلال، وإما أن يكون سببه الخوف من أهل البدع فلا يظهر معتقده الصحيح، وهذا لا يجوز إن كان يؤدي إلى ضياع الحق بالكلية وقد هجر الإمام أحمد علي بن المديني بسبب موقفه في هذا الباب.

والمرجع في هذا الباب هو معتقد الأتقياء الذين اعتقدوا أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وصرحوا بذلك، وخطبوا به على المنابر، وكتبوه في الدفاتر، ودونوه بالمحابر، وحذروا من خلافه، بينما أتباع جهنم وهو

الجهم بن صفوان السمرقدي رأس الضلال المنسوبة إليه الجهمية قتله سلم بن أحوز سنة ١١٩هـ، والذي تلقى عقيدته من الجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري سنة ١١٨هـ فقال خالد ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحايتكم فإني مضح بالجعد بن درهم: حيث قال إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً.

وقوله: (أسجحوا) أي: مالوا إلى هذا الأمر، وجعلوه دينهم، وكذلك أرادوا أن يوهموا الناس أنهم يقولون بالقول الحق وهم على الباطل تلبساً ومكرًا وهذه طريقة أهل البدع وكما قال البرهاري أهل البدع مثل العقارب يضعون رءوسهم في الرمال فإذا وجدوا فرصة لسعوا.



مسألة اللفظ

قال رحمه الله:

هـ- ولا تُقَلِّ القرآنُ خَلْقًا قرأتهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِالْفِظِ يُوضَحُ

الشرح:

هذه مسألة أخرى يشير إليها الإمام، وهي مسألة (اللفظ بالقرآن): هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟

وهذه مسألة من المسائل المحدثّة التي جاء بها أهل البدع بعد أن انتصر منهج أهل الحق في مسألة القرآن، وأنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فقال قوم (لفظي بالقرآن مخلوق) وقال قوم (لفظي بالقرآن غير مخلوق)؟ وهذا من الألفاظ المجملة، وأهل السنة عندهم قاعدة وهي: أن الألفاظ المجملة لا تثبت مطلقاً ولا تنفى مطلقاً، بل يثبت الحق منها ويتوقف في لفظها وقد تكلم العلماء على أن سبب ضلال كثير من الطوائف في هذا الباب وغيره هو من جهة الإجمال.

لأن الألفاظ في هذا الباب ثلاثة فما أثبتته الكتاب والسنة أثبتناه، وما نفاه الكتاب والسنة نفيناه، مع إثبات كمال ضده وما تنازع فيه المتأخرون مما لم يرد في الكتاب، والسنة توقفنا في لفظه، واستفصلنا في معناه، فإن كان باطلاً رُد، وإن كان حقاً قبل مع استخدامنا للألفاظ الشرعية، فقلوه: (لفظي بالقرآن مخلوق)، فيه إجمال، ووجه الإجمال أنه قد يُراد بها الملفوظ به وهو القرآن، والقرآن غير مخلوق، وقد يُراد بها صوت الإنسان، وهو مخلوق، بل قد يقول من ينكر خلق

الله لأفعال العباد من القدريّة وغيرهم (لفظي بالقرآن غير مخلوق) ويريدون به أن أصوات القاري غير مخلوق وهذا أيضا ضلال على ما يأتي في باب القدر.

قال الإمام أحمد: من قال (لفظي بالقرآن مخلوق) فهو جهمي، ومن قال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق) فهو مبتدع، والإمام البخاري ألف كتاب (خلق أفعال العباد) للرد على من يزعم أن القرآن مخلوق، ومن يزعم أن أفعال العباد غير مخلوقة.

والصواب في هذا أن يُقال: الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري.



إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال رحمه الله:

٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

الشرح:

هذه إشارة إلى عقيدة السلف أصحاب الحديث رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم في مسألة (رؤية الله يوم القيامة)، والرؤية ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع يقول الله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] أي: لربهم ، ويقول: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] أي تنظر بعينها إلى الله ، والنظر يتعدى بنفسه ويتعدى بـ(في) ويتعدى بـ(إلى) فإذا عُدي النظر بـ(إلى) فإنه يراد به النظر حقيقة، تقول نظرت إلى المسجد، نظرت إلى زيد، وإذا عدي بـ(في)، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فالمراد به التفكير وأما إذا عُدي بنفسه فالمراد به الانتظار كقوله تعالى: ﴿فَنَاطِرَةٌ يَوْمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، أي: منتظرة.

ويقول الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] والزيادة فسرها النبي بأنها النظر إلى وجه الله ، فعَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ .»

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ). أخرجه مسلم.

ودلّ على إثبات الرؤية حديث جرير بن عبد الله : «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعنى العصر والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وفي حديث أبي سعيد وأبي هريرة عند الشيخين: أن ناساً قالوا لرسول الله : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر».

قالوا لا يا رسول الله. قال «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب». قالوا لا يا رسول الله.

قال «فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله - تبارك وتعالى - في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم. فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم. فيقولون أنت ربنا. فيسبعونه».

وأحاديث الرؤية كثيرة وقد ألف فيها العلماء، ومن أحسن تلك الكتب كتاب الرؤية للإمام الدارقطني ؛ ولي فيها بحمد الله مؤلف بعنوان رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار.

والمؤمنون يرون الله يوم القيامة في موطنين:

الموطن الأول: في المحشر لما تقدم من الأدلة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿القيامة: ٢٢-٢٣﴾ وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قال الشافعي: فلما حجب الكفار في السخط دلّ على أن المؤمنين يرونه في الرضا.

والموطن الثاني في الجنة: لحديث صهيب وغيره، وإثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة هو عقيدة أهل السنة وفي اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية : (والمؤمنون يرون حقاً ربهم...). وألذ ما يتلذذ به المتلذذون هو النظر إلى وجه الله ، وجه الله الكريم العظيم، الذي قال عنه النبي : «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم ومن شبه المعتزله أن الله لا يرى.

قوله تعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهذا دليل على الرؤية، وإمكانها ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، حيث قيد الرؤية بالممكن فلو ثبت الجبل لرأى موسى ربه، لكن لما انسخ الجبل علم موسى أن لا قدرة له على رؤية الله في الدنيا؟

وذهب الزمخشري وغيره من أهل البدع، إلى أن (لن) تفيد التأييد، قال ابن مالك:

وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِـ(لَنْ) مُؤَبَّدًا فَقَوْلُهُ ارْذُدْ وَسِوَاهُ فَأَعْضُدًا

ومما يدل على أن (لن) لا تفيد التأييد، قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَحَدٌ﴾ [يوسف: ٨٠]، فلما قيده بالأذن دلّ على أنها لا تفيد التأييد: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] فلما قيدته باليوم دلّ على أنها لا تفيد التأييد.

وهذه الآية دليل لأهل السنة على إثبات الرؤية، إذاً لو كان كما يقال: إن موسى سأل ربه أمراً مستحيلاً، لعاتبه الله كما عاتب نوح، فإن نوح لما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْشِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥] قال الله له: ﴿يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] الآية، وموسى كان أعلم الناس بربه في زمنه، وأيضاً لو كان فيه نفي الرؤية لقال: (يا موسى لا أرى).

ومن شبههم قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قالوا: الله لا يرى، ونفي الإدراك نفي للرؤية، قال ابن تيمية : هذا دليل لنا لا علينا، وهو من أقوى الأدلة على إثبات الرؤية، وتحدى المبتدعة أن يأتيه دليل صحيح في مسألة من المسائل إلا وكان فيه ردٌ عليهم، قال: فإن الإدراك رؤية وزيادة، كأن تقول: أدركت المسجد، أو: نظرت إلى الكوب فأدركته، أي: أحطت به، ونظرت إلى المسجد فلم أدركه أي: لم أحط به، فالإدراك رؤية وزيادة أي مع الإحاطة، فالله لكماله وعظمته وكبره يرى ولا يحاط به: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، والدليل على ذلك قال الله : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] قوم موسى وقوم فرعون لما رأى بعضهم بعضاً، ماذا قال أصحاب موسى؟ ما قالوا: إنهم رأونا؛ لأنهم قد رأوهم أصلاً، فلو كان الإدراك بمعنى الرؤية سيكون: فلما رأى قوم موسى قوم فرعون رأوهم، والقرآن مصان عن هذا؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، ولأنه كلام تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله.

إذن فقلوه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ أي: إنه لمحاط بنا، فقال موسى: ﴿كَلَّا﴾ هل معناه: كلا لم يروكم؟ أو قال: كلا لن يحيطوا بكم، قال: كلا لن يحيطوا بكم فأوحى الله إليه: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣] فحصلت المعجزة بنجاة موسى عليه السلام وقومه.

فالشاهد: أن الله يُرى، ويرى في العلو، كما تقدم في الأحاديث «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ» فالقمر يُرى في العلو، والشمس تُرى في العلو، والأشاعرة خلطوا في هذه القضية واضطربوا اضطراباً عظيماً؛ لأنهم لا يشبتون علو الله ، فقالوا: يُرى لا في جهة، وهذه من العجائب كيف يرى لا في جهة؟ وأين يُرى، وكلامهم مؤداه إلى نفي الرؤية، وقد شنع المعتزلة على الأشاعرة في هذه المسألة لأن الأشاعرة وافقوا المعتزلة في أن الله ليس في العلو وخالفوهم في مسألة الرؤية فإما أن يسلكوا طريقهم الضال في نفي العلو والرؤية اطراداً لقاعدتهم، وإما أن يضطربوا، والقول في بعض الصفات كالقول في بعض، والباب واحد فالصحيح أن الله يُرى في العلو، وأدلة الرؤية يثبت بها العلو.



تنزيه الله عن النقائص

قال رحمه الله:

٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ

الشرح:

في هذا البيت إشارة من الناظم لكمال الله تعالى المطلق من كل وجه، وتعالیه عن صفات المخلوقين المحدثين، وصفات الله تنقسم إلى قسمين ثبوتية وسلبية أي منفية، والثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية فالذاتية مثل السمع والبصر والقدرة والفعلية مثل الغضب والرضا، والمحبة وسميت فعلية لتعلقها بمشيئة الله والصفات الذاتية تنقسم إلى خيرية، ومعنوية فالخيرية هي التي يتوقف في ثبوتها على الخبر من الكتاب والسنة مثل الوجه، واليدين، ولا مجال للعقل في إثباتها، والمعنوية مثل العلم، والإرادة، والقدرة، والقاعدة في الصفات السلبية أنها لا بد أن تتضمن كمال الضد.

والدليل على ما ذكر قول : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾، وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَفَنُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] والأصل في الصفات السلبية أنها تأتي مجملة وإذا جاءت مفصلة لأمرين: الأول: دفع ما اوعاه في حقه المبطلون كما في هذه الآية؛ والثاني: دفع توهم نقصي كما في قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقال: ﴿وَقَالُوا

أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ [مريم: ٨٨-٩٢]، فإنما يحتاج الولد المخلوق الناقص العاجز إما الله تعالى فهو الحي القيوم.

قوله: (وَلَيْسَ لَهُ) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أي: الله ينزه عن المثل والمثيل والنظير قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

والإجماع في النفي يؤتى به لبيان عموم كمال الله .

وكلمة (سبحان الله) تتضمن تنزيه الله عن جميع النقائص، وتستلزم إثبات جميع المحامد لله سبحانه، بينما كلمة (الحمد لله) تتضمن إثبات جميع المحامد والكمال، وتستلزم نفي جميع النقائص، ومن شبه الله بخلقه كفر، ومن عطل الله من صفاته كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله تمثيل، ولا تعطيل.



الرد على الجهمية في مسألة الرؤية

قال رحمه الله:

- ٨- وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحٌ
٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجَحُ

الشرح:

الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، الذي تلقى عقيدته من الجعد بن درهم، والجهمية أكفر من اليهود والنصارى، وهم أصحاب ضلالات وخرافات يزعمون أن الله لا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا يسار، ولا داخل العالم، ولا خارجه، وشبهوا ربهم بالمعدومات، والممتنعات، حتى قال بعضهم: لو سألتك أن تصف لي العدم، ما زدت على هذا.

وقوله: (وَقَدْ) هنا للتحقيق مثل قوله (قد قامت الصلاة) فالجهمية ينكرون الرؤية، وغيرها مما ثبت بالأدلة الصحيحة.

قوله: (وَعِنْدَنَا بِمُصَدَّقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحٌ) أي أن لأهل السنة، والجماعة أدلة بينة ظاهرة جلية صحيحة صريحة في أن الله يتجلى للمؤمنين يوم القيامة ويروونه، رؤية تلذذ ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي الذي أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما من أهل السنن، والمسانيد حتى قال إسحاق بن راهويه: من أنكر حديث قيس بن أبي حازم عن إسماعيل بن أبي خالد عن جرير فهو جهمي واستدل به أهل الحديث قاطبة لا نعلم في ذلك خلافاً.

قوله: (فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح) أي: قل مثل قول النبي وأصحابه ومن سار على طريقته من السلف الصالحين، تنجح وتفوز وتسلم من الضلال والانحراف.

فما يسلم إلا من استسلم، وانقاد، وأخذ بالحجة القرآنية، والسنة النبوية، بعيداً عن تحرصات أهل البدع وظنونهم الفاسدة، وأرائهم الكاسدة، ولا حول، ولا قوة إلا بالله.



إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله:

١٠- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

الشرح:

قوله: (وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ): أَيْضًا (قَدْ) هنا للتحقيق لا للتقليل أو التكثير والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان على ما تقدم، الذين يعطلون الله من صفات الكمال، والجلال، والعظمة، وينكرون كثيرًا من المغيبات.

وصفة اليدين لله ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأدلة في الباب.

وفي السنة ما جاء أن رسول الله كان كثيرًا ما يقسم ويقول والذي نفسي بيده.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : ﴿يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْآخَرَى الْمِيزَانَ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ».

وفي حديث عبدالله بن عمرو عند مسلم قال: قال رسول الله : «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا».

وفي حديث المغيرة عند الشيخين في وصف أعلى أهل الجنة منزله قال الله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ».

وفي حديث عبدالله بن عمر عندهما قال: قال رسول الله : «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَتَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ».

وفي حديث أبي هريرة في محاجة آدم وموسى عندهما: «قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ... فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ» الحديث.

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري (١٤١٠) قال قال رسول الله : «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ ثَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»، وفي رواية لمسلم (١٠١٤): «إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وصفة اليدين لله من الصفات الذاتية الخبرية وهي صفة حقيقية تليق بجلاله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى الله أن يكون بلا يد وتنزه أن تشبه يده يد المخلوق.

وذهب أهل التعطيل إلى إنكار هذه الصفة وقالوا إنها مجاز في النعمة أو القدرة أو القوة، وهذا باطل من وجوه، منها:

الأول: لو كان معنى اليدين القوة أو القدرة لكان جواب إبليس خلقتني بقدرتك، وخلقته بقدرتك فلا فضيلة له عليّ.

الثاني: الله تعالى متصف بقوة، وقدرة واحدة لا قدرتين، ولا قوتين.

الثالث: نعم الله تعالى كثيرة ولا تحصر في نعمتين قال تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها).

الرابع: قد جاء تصريح اليدين على عدة أوجه يمنع دعوى المجاز فيها منها أن الله يأخذ بها ويقبض ويبسط، ويهز، وأن له أصابع ففي البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال عن عبد الله: أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. «فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] إلى غير ذلك مما هذا ليس موطن بسطه.

قوله: (وَكَلَّمَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ) على ما تقدم بيانه من قوله تعالى:

﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْآخَرَى الْمِيزَانُ يُخَفِّضُ وَيَرْفَعُ». والفواصل هي النعم.

وكلتا يديه سبحانه يمين كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص المتقدم
 «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» أخرجه مسلم (١٨٢٧).

وجاء لفظ الشمال في حديث عبدالله بن عمر عند مسلم بلفظ:
 «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَتَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَتَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ» من طريق
 عمر بن حمزة بن عبدالله وهو ضعيف، وزيادته منكرة.

وقد أخرج الحديث البخاري ومسلم من طريق عبيد الله عن نافع عن
 عبدالله قال: قال رسول الله : «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَتَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» بدون ذكر
 الشمال.



إثبات صفة النزول لله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله:

- ١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِمَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ
 ١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
 ١٣- يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى عَافِرًا وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَأَمْنَحُ
 ١٤- رَوَى ذَلِكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

الشرح:

يقرر في هذه الأبيات أن من عقيدة أهل السنة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل، وصفة النزول من الصفات الفعلية التي دل على إثباتها السنة، والإجماع، فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». أخرجه البخاري رقم (١١٥٤) (٦٣٢١) (٧٤٩٤)، ومسلم رقم (٧٥٨).

وأخرج الحديث مسلم برقم (٧٥٨-١٧٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة بلفظ «إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجَرَ الْفَجْرُ».

وفي لفظ له من حديث أبي هريرة «يَنْزِلُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُفْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلَا ظُلُومٍ».

وفي رواية له أيضاً «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».

وفي لفظ له: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيَءَ الْفَجْرُ».

وأخرج الإمام أحمد (٣٦٧٣) من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود أن رسول الله قال: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسُطُّ يَدُهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ» قال الوادعي في الصحيح المسند: هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد (١٦/٤) من طريق هلال ابن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهمي عن رسول الله قال: «إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ - يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا

الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ» قال الوداعي: هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده (٨١ / ٤) وابن أبي عاصم رقم (٥١٩) وغيرهما من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه أن رسول الله قال: «يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ».

وقد جاء عن غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم حتى قال ابن القيم: هذا الحديث روي عن ثلاثة وعشرين صحابياً.

قوله: (بَلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ) يشير إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الصفات، وهي أنهم يشبِّتون الصفات من غير تكييف لها إذ لا تُعرف كيفية الصفة إلا برؤيتها أو رؤية مثلها، أو إخبار من رآها عنها وكل هذا متنفى في حق الله إذ لا يعرف كيف هو إلا هو، ومما يروى عن مالك: الاستواء معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فما من صفة من صفات الله تعالى إلا ولها كيفية تليق بجلاله، لكنها مجهولة لنا، وهنا تنبيه وهو أن المثبت يجب أن يكون بعيداً من محضوري التكيف والتمثيل والمنزه يجب أن يكون بعيداً عن التحريف والتعطيل.

قوله: (إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا) أي: إلى السماء الدنيا على ما تقدم في الأحاديث.

قوله: (يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ) أي: الله تعالى يقول من يستغفرني على ما تقدم بيانه، ويأتي نحوه.

قوله: (رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ) أي: إن الذين جاء من طريقهم حديث النزول أئمة أثبات، وحفاظ ثقات، مثلهم لا يرد حديثهم إلا من سفه نفسه.

والذين يردون هذه الأحاديث وما في بابها هم أهل البدع من الجهمية والمعتزلة، ومن إليهم وقد جعلوا لهم قاعدة يسرون عليها، وهي رد خبر الآحاد في باب العقائد، مع أن الله تعالى أرسل الرسل آحادًا إلى قومهم، وهكذا رسول الله ﷺ أرسل كتبه للملوك يدعوهم إلى الإسلام مع آحاد الناس فتنبه لهذه العلة العلية بل الميتة.

وقد ذهب المبتدعة من المعتزلة والأشاعرة على طريقتهم الشنعاء في تحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ فقالوا: إنما هو نزول ملك من الملائكة أو نزول أمر الله ورحمته والرد عليهم من وجوه يعرف بعضها من لدية مزعة عقل وسلامة معتقد.

الوجه الأول: كيف يعقل أن يقول الملك: من يدعوني؟ من يسألني؟ من يستغفري؟ وهذه عبادات لا تصرف إلا لله ﷻ وصرفها لغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا هو شرك أكبر يخرج من الملة، والملائكة قد قال الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] والملك إذا تكلم عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب بل يقول: إن الله أمر بكذا كما في الحديث «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

الوجه الثاني: في بعض ألفاظ الحديث التي تقدم ذكره يقول الله تعالى: إذا نزل: «أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ» وفي رواية تقدمت أيضًا «لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي».

وأما من زعم أن النازل أمره فأوامر الله تعالى نازلة في كل وقت وحين وتخصيص نزولها بالثلث الأخير من الليل ليس عليه دليل قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ومن زعم أن النازل رحمته فإن أراد بها صفته فنزول الصفة يلزم منه نزول الموصوف، وإن أراد به الرحمة المخلوقة فعلى ما تقدم القول في الملك زد على ذلك أي مصلحة لنا في نزول الرحمة إلى السماء الدنيا فقط.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٧٢-٨٧٣):

إن من تأول ذلك بنزول رحمته أو غير ذلك قيل له: الرحمة التي تثبت بها إما أن تكون عينًا قائمة بنفسها وإما أن تكون صفة قائمة في غيرها، فإن كانت عينًا وقد نزلت إلى السماء الدنيا لم يكن أن تقول: من يدعوني فاستجب له كما لا يمكن للملك أن يقول ذلك، وإن كانت صفة من الصفات فهي لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل ثم لا يمكن للصفة أن تقول هذا الكلام ولا محلها، ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا فأى منفعة لنا في ذلك. اهـ

ثم إن أدلة النزول يثبت بها علوم الله فإن النزول يكون من أعلى إلى أسفل على ما هو معلوم عند عامة العقلاء، وصفة النزول من الصفات الفعلية لتعلقها بمشيئة الله تعالى وصفة العلو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عند الله أزلاً وأبد، قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى:

﴿إِنَّمَنْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقال : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأدلته من السنة متواترة، ومنها حديث معاوية بن الحكم عن مسلم أن النبي قال للجارية: «أَيْنَ اللَّهِ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتَقَهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». والمراد بقوله: (في السماء) أي: على السماء، وإن شئت قلت: في العلو؛ فإنَّ كُلَّ ما علا سماءً، وقد توسعت في الكلام على هذه الصفة في كتابي سلامة الخلق في طريقة السلف وغيره.

تنبيه: يثبت الله صفة المعية لقول الله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] والمراد بالمعية هنا معية العلم والسلطان والقهر وغير ذلك من خصائص الربوبية ومن زعم أن الله حَالٌّ في شيء من مخلوقاته أو مُتَّحِدٌ بها فقد كفر، وأنت تعلم أن (مع) لا تقتضي اختلاطاً ولا اتحاداً وإنما تدل على مطلق مصاحبة، فأحدنا إذا سافر يقول مازلت أسير والقمر معي، فإذا حصل التباين في المخلوقات فهو حاصل بين الخالق والمخلوق من باب أولى، فتنبه لهذا تسلم من تخرصات المبتدعين الضالين.

والمعية تنقسم إلى معية عامة وهي ماتقدم بيانها، ومعية خاصة وهي المقترنة بالنصر والتأييد والحفظ، مثل قوله: ﴿تَحْزَنُ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].



فضل الخلفاء الأربعة

قال رسول الله:

- ١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قُدَمَاءُ، ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ
 ١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ
 ١٧- وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

الشرح:

أي اعتقد أن خير الناس من هذه الأمة بعد نبيها محمد هو أبوبكر وإلا فإن الأنبياء والرسل من بقية الأمم أفضل من أبي بكر .

وهذا الذي ذكره عليه قول أهل السنة قاطبة في فضيلة أبي بكر ، ثم عمر ثم عثمان ثم علي عن ابن عمر قال: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ النَّبِيُّ بِذَلِكَ فَلَا يُنْكِرُهُ. وفي البخاري (٣٦٧١) عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ، ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

أما أبوبكر؛ فهو عبدالله بن أبي قحافة التيمي الصديق ، أول من آمن من الرجال الأحرار، فضائله مشهورة وخيره عظيم على ما يأتي بيانه كان رسول الله زوجاً لابنته عائشة .

وأما عمر؛ فهو: أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي الملقب بالفاروق، كانت ابنته حفصة زوجة للنبي .

وقال فيهم: (وَزِيرَاهُ)؛ لأنهم كانوا معه وحوله كحال الوزير مع الملك ثم هم كانوا خلفاء من بعده وقد صح عن علي أن رسول الله كان كثيراً ما يقول: «جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» أخرجاه.

وأما ثالثهم؛ فهو عثمان بن عفان ذو النورين تزوج بنتي النبي : رقية وأم كلثوم.

وقوله: (أرجح) يشير إلى ما وقع من الخلاف في الزمن الأول من تقديم بعضهم لعل على عثمان في الفضل لا في الخلافة والصحيح أن عثمان أفضل وقد أجمع الصحابة على فضله كما أخرجه البخاري في قصة البيعة حيث قال عبدالرحمن بن عوف ولم أرهم يعدلون بعثمان أحداً.

ذكر شيء من فضائل الصحابة:

وإليك بعض ما يدل على فضل من ذكر من هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على التعيين؛ وإلا فضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

فمن فضائل الصديق الأكبر (أبو بكر):

ما جاء عند البخاري (٣٦٥٦) عن ابن عباس قال: قال رسول الله «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي».

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ أن رسول الله جلس على المنبر؛ فقال: «عَبْدٌ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ

مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ؛ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ لَا تُبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً؛ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ».

وأخرج مسلم في صحيحه (٢٣٨٣) عن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».

وفي الصحيحين : البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) عن عمرو بن العاص؛ أن رسول الله بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ؛ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» فَقُلْتُ: مَنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»؛ فَعَدَّ رِجَالًا.

وأخرج مسلم (١٠٢٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وأخرج البخاري (٣٦٦١) عن أبي الدرداء قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ

فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثلاثاً، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُودِيَ بَعْدَهَا.

وأخرج البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذَّنْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شاةً فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذَّنْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ: «فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهِ وَابُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا ثُمَّ ابُوبَكْرٍ وَعُمَرُ».

وأخرج البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَزَعَهَا بِهَا ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرَبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ».

وفيهما البخاري (٣٦٦٦) ومسلم عن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ لَكَ وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ

الصَّدَقَةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّبَانِ «
قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا
كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» يَعْنِي أَبُو بَكْرٍ.

وفي الصحيحين البخاري (٣٦٧٤) ومسلم عن أبي موسى الأشعري:
أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا
قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا فَخَرَجْتُ
عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتُ أَرِيْسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ
حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بَيْتِ
أَرِيْسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْتِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ
انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ الْيَوْمَ فَجَاءَ
أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ
ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «اُتْدُنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»
فَأَقْبَلْتُ: حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ
أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ مَعَهُ فِي الْقُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ كَمَا
صَنَعَ النَّبِيُّ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي
يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقْنِي فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِي بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ
يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ
جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ
فَقَالَ: «اُتْدُنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشِّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ

بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي
الْبَيْتِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِي بِهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ

يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقَفَّ قَدْ مَلِئَ فَجَلَسَ وَجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ. قَالَ شَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ.

ومن فضائل عمر :

نزيد على ما تقدم في البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي : «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفَنَائِهِ جَارِيَةً فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا، فَقَالَ: لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَأَنْظَرُ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارٌ».

وأخرج البخاري (٣٦٨١) ومسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال النبي : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ فِي ظُفْرِي، أَوْ قَالَ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَأَوَلْتُ فَضْلَهُ عُمَرَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَوَّلَتْهُ قَالَ: «الْعِلْمَ». ورؤيا الأنبياء وحي.

واتفقا على حديث أبي سعيد البخاري رقم (٣٦٩١) ومسلم قال: سمعت رسول الله : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدي، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الدِّينَ».

وأخرج البخاري (٢٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمُنَّهُ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ عَالِيَةً أَصَوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَتَدَرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَرَسُولُ اللَّهِ يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ.

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنِي، وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ، قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَغْلَظُ، وَأَفْظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

وعن أنس بن مالك قال: صَعِدَ أَحَدًا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اثْبُتْ أَحَدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ» رواه البخاري (٣٦٨٦).

ومن فضائل عثمان :

نزيد على ما تقدم قول النبي في شأنه: «مَنْ يَخْفِرْ بِرُؤُومَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَخَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

وأخرج البخاري (٣٦٩٦) عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ؛ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الْوَلِيدِ؛ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، قَالَ مَعْمَرٌ: أَرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ؛ فَاَنْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ،

فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتُ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ؛ فَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ؟ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَمَنْتُ بِمَا بَعَثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتُ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَبَايَعْتُهُ؛ فَوَ اللَّهُ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا عَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتَخْلَفْتُ؛ أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ؛ فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ.

وأخرج رقم (٣٦٩٨): عن عُثْمَانَ ابْنِ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتِ؛ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنْ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدِّثْنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَى أَبِينِ لَكَ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ

الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»؛ فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ.

وأخرج مسلم (٢٢٠١) عن عائشة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقِيهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهْ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

ومن فضائل رابعهم وهو: علي بن أبي طالب :

ما أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ؛ فَأَتَيْ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

وقال عنه رسول الله : «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).

وفي مسلم (٧٨) عنه أنه قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ. وعن بريدة عند أحمد (٣٤٧ / ٥) وغيره مرفوعاً: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ؛ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ».

هذه إشارات إلى فضائل هؤلاء القوم الذين نصر الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين.

وقوله: (عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْخُلْدِ تَسْرُحُ) يشير إلى تبشير النبي لهم بالجنة ويجب علينا أن نجزم بمن جزم له رسول الله .



فضائل بقية العشرة المبشرين بالجنة

قال رحمه الله:

١٨- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمَدْحُ

الشرح:

هؤلاء هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم المذكورون في حديث عبدالرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٤٧) قال: قال رسول الله : «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».

وجاء الحديث عن سعيد بن زيد أيضًا عند الترمذي (٣٧٤٨)، والحديث

حسن.

وقد مات رسول الله وهو عنهم راضٍ كما في البخاري (٣٧٠٠) عن عمر، وذكر عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وسعيدًا.

فسعيد هو ابن زيد بن عمر بن نفيل الذي قال النبي : «يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ» أخرجه البخاري.

وسعد هو ابن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري يكنى أبا إسحاق كان سابع سبعة في الإسلام اسلم بعد ستة.

وجمع له رسول الله وللزبير أبويه، فقال لكل واحد منهما فيما روى عنه : « اَرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » .

روى ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال رسول الله لسعد بن أبي وقاص: «اللَّهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ، وَسَدِّدْ رَمِيَّتَهُ» .

ومن كراماته ما أخرجه البخاري عن جابر بن سمرة قال شكوا أهل الكوفة سعدا إلى عمر فعزله واستعمل عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي قال أبو إسحاق أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ما أخرج منها أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الآخرين قال ذاك الظن بك يا أبا إسحاق فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه ويشنون معروفًا حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال سعد أما والله لأدعون بثلاث اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتنني دعوة سعد قال عبد الملك فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن .

وهو ومن معه من الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض على ما تقدم .

وابن عوف هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري يكنى أبا محمد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله عبد الرحمن. أمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة. ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وكان من المهاجرين الأولين جمع الهجرتين جميعاً: هاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم قبل الهجرة وهاجر إلى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولقيه رسول الله ﷺ إلى دومة الجندل إلى كلب وعممه بيده وسد لها بين كتفيه وقال له: «سِرْ بِاسْمِ اللَّهِ» وأوصاه بوصاياه لأمرائه سراياه.

وطلحة هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي.

وعامر فهر هو أبو عبيدة بن الجراح قيل اسمه عامر بن الجراح، وقيل: عبدالله ابن عامر بن الجراح والصحيح أن اسمه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري. شهد بدرًا مع النبي ﷺ وما بعدها من المشاهد كلها.

وهو الذي انتزع من وجه رسول الله ﷺ حلقتي الدرع يوم أحد فسقطت ثنيتاه وكان لذلك أثرم وكان نحيفًا معروق الوجه طوالاً أجناً وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة وكان من كبار الصحابة وفضلائهم وأهل السابقة منهم رضوان الله عليهم أجمعين، قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ،

وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ». وقال أبو بكر الصديق يوم السقيفة: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر وأبا عبيدة. وقال عمر إذ دخل عليه الشام وهو أميرها: كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة. وله فضائل جمّة.

توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة بالأردن من الشام وبها قبره.

والزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي الأسدي يكنى أبا عبد الله. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمّة رسول الله .

أسلم الزبير وهو ابن خمس عشر سنة قال عنه النبي : «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيّ الزُّبَيْرُ» وهو بقوله: (الممدح) يشير إلى هذا الحديث.

هذا بعض من كل، وقد توسعت في فضائلهم في غير ما موطن من كتبي، والحمد لله.



فضل عائشة رضي الله عنها ومعاوية رضي الله عنه

قال رحمه الله:

١٩- وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالِنَا مُعَاوِيَةُ أَكْرَمَ بِهِ فَهُوَ مُصْلِحٌ

الشرح:

قوله: (وعائش) هو ترخيم عائشة، وهي عائشة هي بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي ، تقدم ذكر أبيها في بابه، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، تزوجها رسول الله بمكة قبل الهجرة بستين هذا قول أبي عبيدة وقال غيره: بثلاث سنين وهي بنت ست سنين وقيل: بنت سبع وابنتي بها بالمدينة وهي ابنة تسع لا أعلمهم اختلفوا في ذلك وكانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له وكان رسول الله قد أرى عائشة في المنام في سرقة من حرير فتوفيت خديجة فقال: إن يكن هذا من عند الله يمضه فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين فيما ذكر الزبير وكان موت خديجة قبل خروجه إلى المدينة مهاجراً بثلاث سنين هذا أولى ما قيل في ذلك وأصححه إن شاء الله تعالى أفاده ابن عبد البر في الاستيعاب .

وفضائلها كثيرة، منها:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَإِذَا أَنْتَ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ». أخرجه مسلم (٢٤٣٨).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى الطَّعَامِ» متفق عليه.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا عَائِشُ هَذَا جَبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى. متفق عليه

ابتليت بحادثة الإفك فبرأها الله تعالى. ففي البخاري ومسلم عن الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ بِمَا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثَبَتْ أَقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، ذَكَرُوا أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا، حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا

قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ
 قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ
 كَانُوا يَرَحْلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ
 يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبَلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ،
 إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ
 وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا. وَوَجَدْتُ عِقْدِي
 بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي
 الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي
 مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ السَّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ
 عَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَاتَّانِي
 فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ
 بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ، مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً
 وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا
 فَرَكَبْتُهَا، فَاِنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ
 الظَّهِيرَةِ.

فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ،
 فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ
 أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ
 رَسُولِ اللَّهِ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ
 فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى
 خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ، وَخَرَجْتُ مَعِيَ أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا،

وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمَرَنَا
أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنْزُّهِ، وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا،
فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحَ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُحَيْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا
ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُمِّ ثَالِثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ
الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُحَيْمٍ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمُّ
مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ! فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ! أَتُسَيِّنُ رَجُلًا
قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟! قَالَتْ: أَيْ هَتَّاهُ، أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟! قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟
قَالَتْ: فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ؛ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ
تِيكُمْ؟» قُلْتُ: أَتَأْذُنِي أَنْ أَتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيِّقَنَّ الْخَبَرَ مِنْ
قَبْلِهَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لَأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَا يَتَحَدَّثُ
النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوْنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ، لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِئَةً عِنْدَ
رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَقَدْ تَحَدَّثَ
النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ، لَا يَرِقًا لِي دَمْعٌ، وَلَا
أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي. وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا
أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي
يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ هُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا،
وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ
تَسَّالَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةٍ، هَلْ
رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ

رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ تَنَامُ عَنْ عَجِينَ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبَنَا عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَنَقْتُلَنَّهُ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ! فَتَارَ الْحَيَّانِ: الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هُمَا أَنْ يَفْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَطْنَانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنَتْ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشْهَدَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ،

يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ - وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ لَا أَفْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ - : إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَتُصَدِّقُونَنِي، وَإِنِّي وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي.

قَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهُ حِينِيذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهُ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحَقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِي بَأْمَرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ ﷻ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ؛ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأكَ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قَوْمِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، هُوَ

الَّذِي أَنْزَلَ بَرَآئَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١] عَشْرَ آيَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَآئَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ - : وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ عَنْ أَمْرِي: «مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفَقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيْمَنْ هَلَكَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ.

فصار الطعن في عائشة محنة، ومن اتهمها بما برأها الله منه فهو كافر خبيث حلال الدم.

وقوله: (أم المؤمنين) يدل عليه قول الله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

وهي زوج النبي في الدنيا والآخرة كما قال عمار أخرج البخاري.

وقوله: (وخالنا مُعَاوِيَةَ أَكْرَمَ بِهِ فَهُوَ مُصْلِحٌ) رد على الرافضة ومن إليهم من الطاعنين فيه ، وهو معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان: صخر بن حرب، وأمه هند بنت عتبة، أسلم هو وأبوه وأمه، وحسن إسلامهم، وكان يكتب الوحي بين يدي النبي ، دعا له النبي بقوله: «اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَفِي الْعَذَابِ» والحديث خرج طرقه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (٣٢٢٧). وقد استدلل بعض العلماء بهذا الحديث على أن من قال: إن زوجته طالق إن لم يكن معاوية في الجنة، أن أمرأته لا تطلق؛ لأن النبي دعا لمعاوية أن يقيه الله العذاب.

وقوله: (خال المؤمنين) لأنه أخو أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، والله تعالى يقول: ﴿وَأَزْوَجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وأخو الأم خال، لكن هل يقال هذا في أخوتهن وغير ذلك؟ الظاهر أن هذا لا يقال لهم، والله أعلم.

وذهب بعض الشانئون له إلى الطعن فيه، مستدلين بما أخرجه مسلم (٢٦٠٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ: فَجَاءَ فَحَطَّأَنِي حَطَّاءً، وَقَالَ: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: «لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ».

ولا مطعن فيه بذلك؛ لأنه لم يرد في الحديث أن ابن عباس قال له رسول الله يدعوك فرفض الإجابة.

الأمر الآخر: أنه قد صح عن النبي عند مسلم (٢٦٠٠) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَجُلَانِ، فَكَلَّمَاهُ بَشْيٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ،

فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهَ، فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنَتُهُمَا وَسَبَبْتُهُمَا، قَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارِطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا». وجاء عن غيرها، فتعتبر هذه فضيلة لمعاوية .

الأمر الثالث: أن التنعم بأكل الحلال من النعم فكان في هذه الدعوة النبوية بركة عظيمة لمعاوية .

وجاء عند مسلم (٢٥٠١) في بيان إسلام أبي سفيان : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ثَلَاثٌ أَعْطَيْتَنِي، قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ، أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، أَزْوَجُكَهَا، قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ، تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أَقَاتِلَ الْكُفَّارَ، كَمَا كُنْتُ أَقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ: «نَعَمْ».

وطعن في هذا الحديث بعضهم، ولا مطعن فيه، والحمد لله. فلعله أراد بقوله: (وأجمله أم حبيبة أزواجكها) أي: أجدد لك العقد عليها وأطية ونحو ذلك، أو لعله أراد بها اختها عزة، فتصحف على الراوي، والله أعلم.



فضائل بقية الصحابة

قال رسول الله:

٢٠- وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ بنصرهم عَنْ ظِلْمَةِ النَّارِ زَحْزَحُوا

٢١- وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَالتَّابِعُونَ بِحُسْنِ مَا حَذَوْ حَذْوَهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا

الشرح:

بعد أن بين فضائل بعض الصحابة أجمل وبين وجوب اعتقاد فضل الأنصار والمهاجرين جميعاً للأدلة المبينة والمجلية لذلك.

والأنصار: هم سكان المدينة من الأوس والخزرج، الذين ناصرُوا رسول الله ، واعلم أن القرآن قد أثنى عليهم وبين فضائلهم في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي حَيَاتِهِمْ بِالْحُسْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴿٢﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وعند ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣/ ٣٣١) من حديث أسيد بن
حضير قال: قال رسول الله : «الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي» وهو في
الصحيح ^(١) عن أنس ولفظه: «الْأَنْصَارُ كَرِشِي، وَعَيْبَتِي وَالنَّاسُ
سَيَكْثُرُونَ، وَيَقْلُونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

والمراد بـ(الكرش) الباطنة وموضع السر والأمانة، والذي يعتمد عليهم في
أمواره، واستعار الكرش والعيبة لذلك؛ لأن المجتر يجمع علفه في كرشه،
والرجل يضع متاعه في عيبته، وقيل: المراد بالكرش؛ الجماعة أي: جماعتي
وصحابتي. اهـ من النهاية .

وفي البخاري (٣٧٧٦) عن غيلان بن جرير قال: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَرَأَيْتَ اسْمَ
الْأَنْصَارِ كُنتُمْ تُسَمُّونَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمُ اللَّهُ، قَالَ: بَلْ سَمَّانا اللَّهُ ، كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى
أَنَسٍ فَيُحَدِّثُنَا بِمَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ وَمَشَاهِدِهِمْ، وَيُقْبَلُ عَلَيَّ أَوْ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ،
فَيَقُولُ: فَعَلَ قَوْمُكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا.

وفي البخاري (٣٧٧٦)، ومسلم (١٠٥٩) واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ
مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَقْبَلْتُ هَوَازِنُ وَغَطَفَانَ وَغَيْرَهُمْ بِنِعْمِهِمْ
وَذَرَارِيِّهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَمِنَ الطُّلُقَاءِ فَأَذْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ
وَحْدَهُ؛ فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءً لَمْ يَخْلُطْ بَيْنَهُمَا التَّفَتُّ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ

(١) البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠).

الأنصار»، قالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره، فقال: «يا معشر الأنصار»، قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بَعْلَةٍ بَيْضَاءَ؛ فنزل، فقال: «أنا عبدُ الله ورسوله»؛ فأنهزم المشركون فأصاب يومئذ غنائم كثيرة فقسَمَ في المهاجرين والطلقاء، ولم يعطِ الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة فقال: «يا معشر الأنصار ما حديث بلغني عنكم؟» فسكتوا، فقال: «يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، فقال النبي: «لو سلك الناس وادياً وسلكَتِ الأنصارُ شعباً لأخذتُ شعبَ الأنصارِ» وقال هشام: قلت: يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك، قال: وأين أغيب عنه.

وفي البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) عن البراء قال النبي: «الأنصار لا يحبُّهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق؛ فمن أحبهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

وعن أنس قال: قال رسول الله: «آيةُ المنافقِ بغضُ الأنصارِ، وآيةُ المؤمنِ حبُّ الأنصارِ» أخرجه البخاري (٣٧٨٤).

وفي حديث أبي سعيد عند مسلم (٧٧): «لا يبغضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر».

وفي حديث أنس عند البخاري (٣٧٨٥) ومسلم (٢٥٠٨): «والذي نفسي بيده إنكم أحبُّ الناسِ إليّ»، وقد تقدم في وصية عمر للخليفة بالإحسان إليهم.

وفي حديث أنس عند أحمد (٢١٦/٣) أَتَتْ الْأَنْصَارُ النَّبِيَّ بِجَمَاعَتِهِمْ فَقَالُوا إِلَى مَتَى نَنْزِعُ مِنْ هَذِهِ الْأَبَارِ فَلَوْ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَعَا اللَّهُ لَنَا فَفَجَّرَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ عُيُونًا فَجَاءُوا بِجَمَاعَتِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَالَ «مَرْحَبًا وَأَهْلًا لَقَدْ جَاءَ بِكُمْ إِلَيْنَا حَاجَةٌ» قَالُوا إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا إِلَّا أُوتِيتُمُوهُ وَلَا أَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَانِيهِ» فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَقَالُوا الدُّنْيَا تُرِيدُونَ فَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ فَقَالُوا بِجَمَاعَتِهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَغْفِرَ لَنَا فَقَالَ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَلِلْأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ وَلِلْأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادِ الْأَنْصَارِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَوَالِينَا قَالَ «وَمَوَالِي الْأَنْصَارِ».

وفي البخاري (٣٧٩٩) قال أنس بن مالك: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ، قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةً بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَأَقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئَتِهِمْ».

وفي حديث جابر عند أحمد (٣٢٢/٣) قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتَّبِعُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ بَعُكَاطٍ وَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمَنَى، يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ - كَذَا قَالَ - فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ:

أَحْذَرُ غُلَامٍ قُرَيْشِي، لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَأَوْيَنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقرِّئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ اتَّعَمَرُوا جَمِيعًا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلْ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نُبَايَعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ بِمَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ» قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ: رُويَدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنْ أَخْرَجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعْصَكُمْ السُّيُوفُ، فإِذَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً، فَيَبِينُوا ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْدَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ.

وعند البخاري (٣٨٠٠) عن ابن عباس قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُتَعَطِّفًا بِهَا عَلَى مَنْكَبَيْهِ وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسَاءٌ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ

الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ».

وفضائلهم ومناقبهم عظيمة، آووا رسول الله ونصروه، ومنعوه، وصدقوه، وعادوا العرب والعجم من أجله، فرفعهم الله لذلك.

والمهاجرون: هم من ترك الأهل والأوطان فراراً بدينهم، وقد ذكر الله تعالى فضلهم فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ٨ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٩ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

قوله: (بنصرهم عن ظلمة النار زحزحوا) أي: زحزحهم الله عن النار ونجاهم منها بسبب نصرهم للنبي .

وقوله: (ومن بعدهم التابعون...الخ) يشير لما تقدم في الآية السابقة، وما صح عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله : «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يُلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَحْيِي قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ» متفق عليه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا، قَالَ: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا» متفق عليه.

وعن عمران بن حصين : أن رسول الله قال: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَذْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيُخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمْ السَّمَنُ» متفق عليه.

وعن عائشة قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ». أخرجه مسلم.

وهذا من حيث الجملة وإلا فقد وقع في زمن التابعين بدعة النصب والقدر والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغير ذلك، لكن زمنهم في الجملة زمن ظهور للإسلام والسنة.



التحذير من الطعن في الصحابة

قال رحمه الله:

٢٢- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

٢٣- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

الشرح:

وبعد التخصيص والتفصيل عموماً فيما يجب نحو جميع الصحابة فقال
الواجب أن يقول المرء في صحابة رسول الله خير الأقوال لأن الله تعالى
اصطفاهم لنصرة نبيه، ولنشر دينه قال: عبدالله بن مسعود: إن الله نظر في
قلوب العباد فاختر محمدًا ، فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ثم نظر في قلوب
الناس بعده فاختر له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ، فما رآه
المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح. أخرجه
أحمد.

وحرم الله تعالى مشاققتهم، ومخالفة طريقهم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ
الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ
وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ونهى رسول الله عن سبهم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله
: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ
أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَذْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» أخرجه مسلم.

وأثنى الله تعالى على الذين اتبعوهم بإحسان وهم مستغفرون لهم، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والواجب علينا ذكر محاسنهم، والكف عن مساوئهم، وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

قال ابن تيمية في الواسطية: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسُّلَامَةُ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثِيَّةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ - : «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ

لَكُمْ». وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، كَالْعَشْرَةِ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلَّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَّبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنْ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ : أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ : حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أَذْكُرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ اللَّهُ وَلِقَرَابَتِي». وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَتْنِ أَزْوَاجِهِ فِي
الْآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمِّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى
أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ ، الَّتِي قَالَ فِيهَا
النَّبِيُّ : «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّوهُمْ.
وَطَرِيقَةُ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا
شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ
كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغَيْرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ
مَعْدُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُحْطِئُونَ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ
يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَهُمْ مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفَرَةَ
مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ - ، حَتَّى إِتَّهَمُوا يُغْفَرُ لَهُمْ مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ
بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ
بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمَدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ
أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا مِّنْ بَعْدِهِمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛
فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ
بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ
عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ:
إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ. ثُمَّ إِنَّ
الْقَدَرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزَرَ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ
وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ،

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ. وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عِلْمٌ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنََّّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ. انتهى ونقلته بتامه لنفاسته.

وقوله: (وفي الفتح أي في الصحابة تمّ دُخ) يشير إلى مثل قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد توسعت في ذكر فضائلهم وما لهم في شرحي لعقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي ، وكذا في شرحي للسنة للبرهاري ولا حول ولا قوة إلا بالله.



الإيمان بالقدر

قال رسول الله:

٢٤- وبالقدر المقدور أيقن فإنه دعامه عقد الدين والدين أفيح

الشرح:

أي واعتقد بالقدر الذي هو تقدير الله للكائنات وهو أحد أركان الإيمان الستة قال الله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وفي حديث عمر عند مسلم: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ»، وفي حديث ابن عمر: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ» أخرجه مسلم، وفي حديث علي في الصحيحين قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مَخْصَرَةٌ، فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمَخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَائِمُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ» فقال رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥-٦] الآية.

فعلم من هذا أن الناس سائرون في قدر الله وأن الخير والشر منه .

وأشار إلى ما يجب اعتقاده في باب الإيمان بالقدر، فقد ضل فيه أناس وحرار فيه آخرون، والناس في القدر ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نفاة القدر، وهم ما يسمون بالقدرية، ويقال لهم: النفاة وهم مجوس هذه الأمة لحديث ابن عمر: عن النبي قال «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ». أخرجه أبو داود، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: نفاة العلم، وهم الذين زعموا أن الله لا يعلم الأمور إلا بعد حدوثها، وهؤلاء هم الذين قال ابن عمر فيهم: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

وهو الذين يزعمون أن الأمر أنف، وقد ذكر العلماء أن هذه الطائفة اندثرت والله أعلم، قال عمر بن عبد العزيز وغيره: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا، تقول له: الله يعلم الأشياء قبل وقوعها أو لا يعلمها؟ فإن قالوا: يعلم، خصموا، ولزمهم إثبات القدر، وإن قالوا: لا يعلم كفروا؛ لأنهم كذبوا بقول الله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

والثاني: نفاة الخلق الذين يزعمون أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وفي الحديث: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ» في خلق

أفعال العباد عن حذيفة ، وهؤلاء ضلال المعتزلة ومن إليهم، وشبهتهم: تنزيه الله تعالى - زعموا - ثم هم أيضًا يستدلون بمثل حديث على عند مسلم وفيه «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة، منها: وأما قوله: (والشر ليس إليك) فمما يجب تأويله لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله، وفيه خمسة أقوال: أحدها: معناه لا يتقرب به إليك، قاله الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري، وغيرهم. والثاني - حكاه الشيخ أبو حامد عن المزي، وقاله غيره أيضًا - معناه: لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال: يا خالق القردة والخنازير، يا رب الشر، ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء، ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم. والثالث: معناه: والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح. والرابع: معناه: والشر ليس شرًا بالنسبة إليك؛ فإنك خلقتة بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين. أفاده النووي.

والقسم الثاني: القدرية الجبرية: الذين يزعمون: أن الإنسان مجبور، وليس له اختيار، ولا فعل، ولا استطاعة، ولا إرادة، وهو كالريشة في مهب الريح، أو كالميت بين يدي الغاسل، وهؤلاء ضلال وهم الجهمية والأشاعرة، والأولون: هم المعتزلة.

فالنفاة والجبرية على طرفي نقيض.

والقسم الثالث: أهل السنة وهم هدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين. وسيأتي بيان طريقهم في هذا الباب.

والقدر: هو علم الله وسره لم يطلع عليه نبياً مرسلًا ولا ملكًا مقربًا، ومراتب القدر أربعة:

الأول: العلم، وذلك أن الله يعلم ما كان وما يكون، بل أعظم من ذلك: يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال الله مخبرًا عن المشركين، لما طلبوا ردهم إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

الأمر الثاني: الكتابة، لما كان الله تعالى بكل شيء عليم، خلق القلم، وقال له: اكتب، قال القلم: وما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما يكون، إلى قيام الساعة، أخرج أبو داود وغيره عن عبادة فجعل القلم يكتب ما كان وما يكون.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم قال: سمعت رسول الله يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء

إذن فالله يعلم أفعال العباد، ويعلم الكليات والجزئيات، ثم القلم كتب هذه الأمور التي أمره الله بكتابتها.

الأمر الثالث: الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة، ولا أحد في هذا الكون يستطيع أن يخرج عن مشيئة الله، قال الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، التكويد: ٢٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

الأمر الرابع: الخلق، وهي أن الله خلق أفعال العباد، خيرها وشرها، وحلوها ومرها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وفي الحديث: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعِيهِ» أخرجه البخاري في الأدب عن حذيفة .

وسبب ضلال أهل البدع في هذا الباب، القدرية النفاة، والقدرية المثبتة أي الجبرية شيء واحد، حيث جعلوا القدر هو محبة الله تعالى.

فاتفقوا على أن القدر هو محبة الله، ثم اختلفوا، فقالت القدرية النفاة: الله لا يحب الشر، وإنما يحب الخير. فلما قالوا بهذه المقدمة، كانت النتيجة الله لا يخلق إلا ما يحب.

إذن: أفعال العباد: الشريرة عندهم ليست من خلق الله؛ لأن الله لا يخلق إلا ما يحب، فالخير من خلق الله، والشر ليس بخلق لله، فإذا قيل لهم: من الذي خلق الشر؟ قالوا: العباد أنفسهم بل انكر بعضهم خلق الله للخير والشر.

إذن: ما سمو مجوس هذه الأمة إلا لهذا، المجوس يزعمون أن للكون خالقين: خالق الخير وهو النور وخالق الشر وهو الظلمة، فهؤلاء وافقوا المجوس، فلهذا جاء في الحديث: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ».

وقالت القدرية الجبرية أتباع الجهم بن صفوان: القدر هو محبة الله، وما من شيء في هذا الكون إلا ويحبه الله، فالنتيجة عندهم الزنا يحبه الله، والكفر يحبه الله، والأصنام يحبها الله، وإبليس يحبه الله، وكل شيء عندهم يحبه الله، فعندهم الطائع والعاصي سواء، حتى ذكر ابن القيم من شناعتهم: أن رجلاً رأى على

امرأته آخر، فقال لها: يا عدوة الله! تفجرين وأنا أنظر، فقالت له: الخيرة فيما اختاره الله، فقال لها: صحيح، الخيرة فيما اختاره الله، وقال: والله لهذه الكلمة منك أحب إلي من الدنيا وما فيها.

وآخر ورآه سيده وهو على سيدته، فقال له: يا لئيم تفجر بسيدتك؟! فقال له: يا سيدي الخيرة فيما اختاره الله، قال: أنت حر لوجه الله لاعتقادك هذا الاعتقاد!

ويصير الإنسان عندهم ممدوحًا، عبد صنما، أم عبد الله، حتى قال بعضهم: أَصْبَحْتُ مُنْفَعِلًا لِمَا يَتَّبِعُنِي مِنْهُ فَفَعَلِي كُلُّهُ طَاعَاتٌ واختلفت الجبرية في تعذيب الله للكافرين والمجرمين، قال بعضهم: يعذبهم؛ لأنه أراد لهم العذاب وهم لا يستحقون العذاب! معتقدين لهذا القول الباطل:

وَجَازَ لِلْمَوْلَى يُعَذِّبُ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ وَلَا جُرْمٍ جَرَى

مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وقال بعضهم: بل هم مثابون على أي حال، وهذا من أقبح الأقوال حيث يزعمون وأن الله يُثيب الكفار المتوعدون بالنار وبئس القرار.



عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر

عقيدة أهل السنة في باب القدر أن الخير، والشر من الله، وأن الله تعالى بكل شيء عليم، وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

والقدر ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: القدر الشرعي، وهو المرادف للمحبة.

والقسم الثاني: القدر الكوني، وهو المرادف للمشئة.

والقدر الشرعي يعبر عنه: بالإرادة الشرعية: وهي الأوامر والنواهي، فما أمر الله به شرعاً فهو محبة، وما نهى الله عنه فهو يكرهه فالصلاة يحبها الله، والزنا يكرهه الله.

والله خالق الخير والشر، والخير مُراد لذاته، والشر مُراد لغيره، وهو واقع بمشيئة الله تعالى وحكمته.

وقسموا الإرادة إلى إرادتين: إرادة شرعية، وإرادة كونية، ومن الفروق بينهما:

الأول: الإرادة الشرعية تكون في المحبوب، والإرادة الكونية تكون في المحبوب وغير المحبوب.

الثاني: الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، فالله يريد الإيمان من الناس شرعاً، ولهذا قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا تحقق من بعض الناس لا كلهم.

الإرادة الكونية: لا بد أن تقع، مثاله: أن الله يريد من زيد الإيمان، فلا يتخلف، وأراد من أبي جهل الكفر، هل يمكن لأبي جهل أن يدخل في الإسلام، لا؛ فالإرادة الكونية لا بد أن تقع.

والإرادة الكونية هي المعبر عنها بمشيئة الله، ولهذا يقال: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قال الشافعي:

مَا شِئْتُ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

والإرادة الكونية والشرعية يجتمعان في حق المؤمن الطائع، فالله أراد شرعاً وكوناً من أبي بكر الإيمان، عرفنا ذلك لأن أبا بكر آمن.

وتفترقان في حق الكافر، فالله يحب من الكافر الإيمان، ويريده منه شرعاً، بمعنى أنه أمره به، لكن ما أراد له الإيمان كوناً، ولا وفقه للإيمان لعلمه أنه ليس أهلاً للإيمان.

بقي من يقول: كيف يريد منه الإيمان ولم يوفقه؟

فنقول: الله يقول عن نفسه: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ويقول: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، خلق الخلق وهو أعلم بهم وبمصالحهم، فعلم من هذا الخير فوفقه للخير فضلاً منه، وعلم من ذلك الشر فلم يوفقه عدلاً منه حتى قال بعضهم:

إِنْ عَذَّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نَعَّمُوا فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

والخلق ملكه وخلقه، من شاء وفقه وله الحمد والشكر، ومن شاء لم يوفقه وله الحمد على كل حال قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

ثم عقلاً لا يجب على من ذلك على ما فيه مصلحة نفسك أن يعينك عليه فتنبه تخرج من مزلق أهل الضلال الذين يقولون يجب على الله تعالى فعل الأصلح للعبد.



إثبات فتنة القبر والحوض والميزان

قال رحمه الله:

٢٥- وَلَا تُنْكِرْنَ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

الشرح:

في هذا إشارة إلى ما يجب عليك اعتقاده، وهي داخلة في الإيمان بالغيب: الإيمان بالملائكة الذي قد ذكر الله من أوصافهم في القرآن العظيم وهكذا رسوله في السنة المطهرة ما يتبين به فساد قول الفلاسفة ومن إليهم أن الملائكة ما هي إلا قوى الخير الموجودة في المخلوقات بل هم خلق من خلق الله خلقهم من نور كما في حديث عائشة رض الله عنها قال الله في أوصافهم ﴿وَالصَّفَقَاتِ صَفًا﴾ ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وقال ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ غَرْقًا﴾ وهم كما قال الله ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ومنهم حملة العرش ومنهم الموكلون بالقطر ومنهم خزنة النار والجنة إلى غير ذلك والإيمان بهم يكون بالإيمان بهم جملة وأنهم من خلق الله ويكون بالإيمان بما علمنا من أوصافهم وأعمالهم ومنها الايمان بمن عرفنا من أسمائهم كجبريل عليه السلام وهو أفضلهم وميكائيل وهو الملك الموكل بالمطر وإسرافيل وانه الملك الموكل بالنفخ في الصور ولهذا كان النبي يتوسل إلى الله بربوبيته لهم ففي حديث عائشة عند مسلم أن رسول الله كان إذا قال من الليل يقول «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ولهـم أجنحة قال الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرُوسًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتُلُكْ وَرُبْعٌ﴾ [فاطر: ١] ورأى رسول الله جبريل له ستمئة جناح ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض كما صح عن عائشة في الصحيحين ويدخل في ذلك الإيمان بمنكر ونكير، دلّ على ذلك حديث أبي هريرة عند الترمذي وغيره، ولفظه: قال رسول الله إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان (يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التثمي عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

فمنكر ونكير هما الملكان الموكلان بسؤال العبد في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟

ويتفرع من الإيمان بمنكر ونكير الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، والنبي علمنا أن نقول بعد التشهد: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» في الصحيح من حديث أبي هريرة ، وفي حديث البراء بن عازب بيان ذلك قال: خَرَجْنَا

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ حَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، وَكَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيِيءُ مَلِكَ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةِ رِيحٍ مِسْكٍ، وَجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِمَآلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ : اكْتُبُوا عَبْدِي فِي عَلِيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ

الرَّيْحَ فَيَقُولُ لَهُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ وَأَمَّا الْعَبْدُ الْكَافِرُ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ وَمَعَهُمُ الْمُسُوحُ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، قَالَ: فَتَفَرَّقُوا فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، وَمَعَهَا الْعَصْبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، قَالَ: وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْتَنُ مِنْ جِيفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْحَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَفْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ﴿ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ : ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ: «فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنَّا مِنْهَا خَلَقْنَاهُمْ، وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الحج: ٣١] الْآيَةَ. «ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ

فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. قَالَ: فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوْجُهِكَ الْوَجْهَ الَّذِي يَجِي بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا سِوَى هَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِمْ، عَنِ النَّبِيِّ. وَرَوَاهُ عَيْسَى بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ وَذَكَرَ فِيهِ اسْمُ الْمَلَكَيْنِ فَقَالَ فِي ذِكْرِ الْمُؤْمِنِ: «فَيُرَدُّ إِلَى مَضْجَعِهِ فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ، وَنَكِيرٌ يُثِيرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِيَائِهِمَا، وَيُلْحِقَانِ الْأَرْضَ بِأَشْفَاهِئِهِمَا أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ فَيُجْلِسَانِهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ؟» فَذَكَرَهُ. وَقَالَ فِي ذِكْرِ الْكَافِرِ: «فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يُثِيرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِيَائِهِمَا وَيُلْحِقَانِ الْأَرْضَ بِأَشْفَاهِئِهِمَا أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ فَيُجْلِسَانِهِ، ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ: لَا دَرَيْتَ وَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا مَنْ بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ لَمْ يَقْلُوهَا يَشْتَعِلُ مِنْهَا قَبْرُهُ نَارًا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ». هَذَا لَفْظُ الْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قَالَ النَّبِيُّ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ» كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ.

وعذاب القبر ثابت بالقرآن والسنة والإجماع، وإنما خالف فيه المبتدعون الضالون من المعتزلة وأصحاب الآراء والأذواق، وأصحاب المحسوسات الذين قالوا: نحن وضعنا الميت في القبر، ووضعنا عليه زئبقاً، وفي اليوم الثاني جئنا وفتحنا عليه القبر فوجدنا الزئبق على صدره لم يتغير ولم يتحول، وأنتم

تزعمون أن الملائكة تجلسه في قبره، وأنه يضم، وأنه يفرج قبره، فهو لاء أصحاب محسوسات، لا يؤمنون بالغيب.

أما نحن أهل السنة بحمد الله تعالى، نؤمن بالغيب بما أخبر الله به، وبما أخبر رسوله ؛ ومن أقوى الأدلة على إثبات عذاب القبر قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] ^(١).



(١) ومن أراد التوسع: لي رسالة، وموجودة في الموقع: تنبيه أولي الأبصار بما في القبر من النعيم والعذاب والرد على الرافضة الأشرار مطبوعة بعنوان القبر نعيمه وعذابه .

إثبات الحوض

قوله: (وَلَا الْحَوْضَ) أي: لا ننكر الحوض فيجب أن نؤمن به، قال الله : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ، والكوثر قد فسره النبي كما في مسلم قال: «مَهْرٌ وَعَدَنِيهِ اللَّهُ ، وَهُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ، والحوض ثابت في الكتاب والسنة.

وطوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وأنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وأهل الابتداع يذاون عنه كما قال النبي : «يُذَادُ أَنْاسٌ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقَالَ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا، بَعْدًا بَعْدًا»، وقال النبي : «إِنِّي لِبُعْثِرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ حَتَّى يَرْفُضَ أَهْلُ الْيَمَنِ» وهذا من فضائلهم، وفضائلهم كثيرة، ألف فيها أخونا الشيخ الذي نرجو له الشهادة: أبوبشير الحجوري كتابًا بعنوان البيان الحسن في فضائل أهل اليمن . وللشوكاني رسالة في ذلك، وللشيخ مقبل في فضائل أهل اليمن الكثير مضمن في كتبه، وقال النبي في شأنهم: «الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْفِقْهُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»، «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ قُلُوبًا وَأَلَيْنُ أَفْئِدَةً»، وأحاديث الحوض كثيرة ومتواترة حتى قيل:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ
وَرُؤْيَا شَفَاعَةَ وَالْحَوْضِ وَمَسَحُ خَفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

وأقرب مرجع لإثبات الحوض وأدلته كتاب صحيح مسلم في فضائل النبي نذكرها هنا للفائدة وهي:

فقد بوب الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم : [باب إثبات حوض نبينا وصفاته] ذكر مسلم تحت هذا الباب هذه الأحاديث وكثير منها مذكورة في كتاب الرقاق من صحيح البخاري (باب في الحوض) من حديث رقم (٦٥٧٥) إلى (٦٥٩٣):

عن جُنْدَبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يَحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ أَنَّهُمَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشِي بِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ»؛ فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّهَا دَعَا الرَّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ؛ فَإِذَا لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَذُبُّ عَنِّي كَمَا يُذِبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا».

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ

عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا».

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أَحَدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمُنْبَرَ كَالْمُودِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتُلُوا؛ فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ فِيهِ أَبَارِيقُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا آيَةُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا؛ إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةٍ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

وَعَنْ ثَوْبَانَ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ»؛ فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ؟، فَقَالَ: «مِنْ

مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ؟، فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدُّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ».

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «قَدَّرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحِبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرَفَعُوا إِلَيَّ، اخْتَلَجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ أَصِيحَابِي أَصِيحَابِي، فَلْيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدُثُوا بَعْدَكَ».

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتِي حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»؛ وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ.

ولي بحمد الله مؤلف في أحاديث الحوض يسر الله إتمامه بالنظر فيه يتبين لك أن أحاديث الحوض متواترة، وقد أُفِرِدَتْ أحاديث الحوض من مسند بقي بن مخلد، وهو مطبوع.

والمطروودون عن الحوض صنفان أهل بدع ويدل على ذلك ما تقدم في حديث أَنَسٍ عند مسلم، وحديث أم سلمة عند مسلم، وعائشة عند مسلم، وأسماء عند البخاري ومسلم.

وحديث سهل بن سعد عند البخاري ومسلم، وحديث أبي سعيد

عند البخاري ومسلم، وحديث أبي هريرة عندهما وغيرهما من

الأحاديث.

قال ابن عبد البر (٢٠ / ٢٦٢):

كل من أحدث في الدين مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وأصحاب الأهواء، وكذلك الظلمة المترفون في الجور وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع، فكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر . اهـ

وقال عقبه : ولا يخلد في النار إلا كل كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

ويطرد عنه بعض أهل المعاصي ويدل عليه حديث جابر عند الإمام أحمد (٢٢ / ٣٣٢) «فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضُ».



الإيمان بالميزان

قوله: (والميزان) وأيضا يؤمن أهل السنة، بالميزان، قال الله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦-٩]. وهو ميزان حقيقي ومن أصرح الأدلة أيضا على إثبات الميزان حديث البطاقة، فعن عبدالله بن عمرو بن العاصي يقول: قال رسول الله : إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أنتكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء. أخرجه الترمذي

وأن له كفتان ولسان، والكفة معروفة، واللسان هو ذلك الذي في أعلى الميزان ويمسك به.

وقد ذهب المعتزلة إلى أن الميزان إنما يحتاجه البقال والثوام، ولا يحتاجه الله، وهذا من جهلهم! فالله غني حميد، لكن خلقه لبيان حكمته، وبيان عدله: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

حَبْكُ مَنْ خَرَدَلٍ أَثْنًا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَتٍ ﴿[الأنبياء: ٤٧]﴾، وجمعت الموازين بالنسبة للموزونات، وإلا فهو ميزان واحد.

وتوزن الأعمال لحديث البطاقة ولحديث: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه عن أبي هريرة .

ويوزن العامل لحديث ابن مسعود قال: «أَتَضَحَّكُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أَحَدٍ» أخرجه أحمد.

وتوزن الصحف، لحديث البطاقة: على ما تقدم.

مسألة: هل توزن أعمال الكافر؟

الجواب: اختلف العلماء في ذلك:

واستدل الذين يقولون بعدم وزن أعمالهم بقول الله تعالى: ﴿فَلَا نُقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، والراجح: أنهم يوزنون ولا قيمة لوزنهم.

وترتيبها في القيامة: الحوض، ثم الميزان، ثم تطاير الصحف، وأما حديث أنس بن مالك أنه قال: (يا رسول الله: أين أجذك؟ قال: أول ما تطلبني عند الصراط، فإن لم تجدني فعند الميزان، فإن لم تجدني فعند الحوض) أخرجه الترمذي فليس فيه ترتيب، وإنما الترتيب: الحوض، ثم الميزان، ثم الصراط.

وجاء عن أنس بن مالك أن عبيد الله بن زياد قال: يا أبا حمزة: هل سمعت النبي يذكر الحوض؟ فقال: لقد تركت بالمدينة العجائز يكثرن أن يسألن الله أن يوردهن حوض محمد . أخرجه الآجري وغيره.



وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وقد جاءت أوصافه في غير ما حدث، منها: ما أخرجه البخاري (٨٠٦) عن أبي هريرة ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ [ص: ١٦٥] يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعَا الرُّسُلُ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بَرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا يَمْنُ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرُ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرُ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَشُوا، فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ،

ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَسَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَاقِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتُكَ، وَيَلِكْ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيقَ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسَّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيَلِكْ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّه، فَيَسْأَلُ رَبُّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا، حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ»، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

قوله: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

وقوله: (إنك تنصح) دلالة إلى أن الدعوة إلى الخير هو من باب النصيحة
قال الله عن نوح ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]
وقال عن هود عليه السلام ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨] وقال عن صالح
﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾ [الأعراف: ٧٩] وفي حديث أبي رقية
تميم الداري أن النبي ، قَالَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم. وفي حديث جرير، قَالَ:
بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.
أخرجاه.



إخراج الموحدين من النار

قال رحمه الله:

٢٦- وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ

الشرح:

أي قل اعتقد وآمن بخروج الموحدين من النار، وانهم يخرجون بفضل الله ورحمته لهم خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يقولون: من دخل النار لا يخرج منها، فعند المعتزلة: أن فاعل الكبيرة منزلة بين منزلتين، في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة مخلد في النار، والخوارج يقولون: هو في الدنيا كافر، وفي الآخرة يخلد في النار، ويستبيحون دماء المسلمين بهذا الزعم، ويستدلون بمثل قول الله تعالى: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وهذا في حق الكفار كما بينه جابر بن عبد الله كما في مسلم عن يزيد الفقير قال

: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله قال فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال أتقرأ

القرآن؟ قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام (يعني الذي يبعثه الله فيه؟) قلت نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غير أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد.

وأهل السنة: يؤمنون بأن الله يخرج من شاء من النار، وأن أصحاب المعاصي فيما دون الشرك تحت مشيئة الله: إن شاء عذبهم ثم مآلهم إلى الجنة، وإن شاء غفر لهم ابتداءً: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]، ومن أقوى الأدلة في ذلك حديث أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله قال: «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حُمًّا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أَوْ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟»، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله : «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ

تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٨٥).

فنحن نؤمن أن من دخل النار وهو من الموحدين بسبب ذنوب اقترفها أن ماله إلى الجنة.

قوله: (مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ) أي: تطرح في نهر الحياة. على ما تقدم بيانه فتنبت كما تنبت الحبة في حميل السيل على ما يأتي.



قال رحمه الله:

٢٧- عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْتًا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

الشرح:

أي: نهر الجنة كما صحت به الأحاديث؛ الفردوس هو أعلى الجنة، ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

قوله: (تحيا بمائه) أي: تعود فيه الحياة بعد هذه الإماتة، كما قال النبي : «فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» ، وقال: «أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟» يعني: الحبة في حميل السيل عند أن تكون تحت صخرة تخرج صفراء ملتوية وهي معروفة، والمراد بحميل السيل ما يحمله السيل أي الماء الجاري بعد المطر من الحبوب وغيرها.

فكذلك المؤمنون يطرحون في نهر الحياة فينبتون، وتعود لهم الحياة، نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار، وآمنا بما أخبر الله به، وبما أخبر به رسول الله .

ولا تعارض بين ما ذكر هنا وبين قول الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٣] فإن ذلك في حق الكفار.



الإيمان بوجود الجنة والنار الآن

تتمة يذكر هنا من باب الفائدة أن الجنة والنار موجودتان الآن الجنة في السماء السابعة والنار في الأرض السفلى وانهما لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان لأن الله خلقهما للبقاء لا للفناء.

ومما يدل على وجودهما الآن قول الله : ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [غافر: ٤٦]، فهم يعرضون على النار الآن. وجميع أدلة اثبات عذاب القبر ونعيمه تدل على معتقد أهل السنة في وجود الجنة والنار الآن خلافًا للمعتزلة ومن إليهم من أهل البدع الذين يزعمون أن وجوها الآن عبث وكذا قد صح عن النبي في أحاديث عدة في خطبة الكسوف أنه رأى الجنة والنار، فمنها:

حديث جابر عند مسلم (٩٠٤): قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ بِأَصْحَابِهِ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، حَتَّى جَعَلُوا يَجْرُونَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُوجُوهُهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدَيَّ عَنْهُ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذِّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرُو بْنِ مَالِكٍ يَجْرُ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرَبِّكُمُوهُمَا، فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ».

ومثله عن عائشة ، أخرجه البخاري (١٠٤٦) ومسلم (٩٠١) ،
 قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى
 الْمَسْجِدِ، فَقَامَ وَكَبَّرَ، وَصَفَّ النَّاسَ وَرَاءَهُ، فَأَقْتَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ قِرَاءَةً طَوِيلَةً،
 ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ
 الْحَمْدُ»، ثُمَّ قَامَ، فَأَقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً هِيَ أَذْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، ثُمَّ كَبَّرَ، فَرَكَعَ
 رُكُوعًا طَوِيلًا هُوَ أَذْنَى مِنَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا
 وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ - وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ: ثُمَّ سَجَدَ - ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكْعَةِ
 الْآخَرَى مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَتِ
 الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَأَتْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ
 قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَحْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ،
 فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ»، وَقَالَ أَيْضًا: «فَصَلُّوا حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكُمْ»،
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعدْتُمْ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي
 أُرِيدُ أَنْ أَخَذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أُقَدِّمُ - وَقَالَ الْمُرَادِيُّ: أَتَقَدِّمُ
 - وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا
 ابْنَ لُحْيٍ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَابِ». وَانْتَهَى حَدِيثُ أَبِي الطَّاهِرِ عِنْدَ قَوْلِهِ:
 «فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ»، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

وأصرحها حديث أبي هريرة ، عن النبي قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ
 قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ
 وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ
 اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ
 خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ

إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»
رواه أبو داود (٤٧٤٤).

والجنة مستقر أولياءه والنار مستقر اعداءه ومما يدل على أنهما لا يفنيان قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]، وحديث أبي سعيد عند البخاري ومسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهُوَ لَاءٌ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

ولم يقل بفنائهما إلا الجهمية الضلال وقد كفرهم العلماء بسبب قولهم هذا ففي السنة لعبدالله بن أحمد قَالَ: سَمِعْتُ خَارِجَةَ، يَقُولُ: كَفَرَتِ الْجُهْمِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْجَنَّةَ تَفْنَى، وَقَالَ اللَّهُ ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْفَدُ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَالَ : ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، فَمَنْ قَالَ: لَا يَدُومُ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَالَ : ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٨]، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَالَ: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣] فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ.



إثبات الشفاعة للنبي ﷺ

قال رحمه الله:

٢٨- فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

الشرح:

هذه إشارة إلى مسألة شفاعة النبي في أهل الكبائر من أمة محمد وأهل الملة متفقون على إثبات الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود، الذي قال الله عنها: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فهذا النوع من الشفاعة يثبتها أهل السنة والمعتزلة والخوارج والرافضة وغيرهم، لكن اختلف أهل السنة مع غيرهم من أهل البدع والضلال، في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر:

فذهبت الرافضة والمعتزلة والخوارج ومن وافقهم إلى أن الشفاعة ليست في أهل الكبائر، واستدلوا بحديث: (ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، وهذا حديث باطل ليس له أصل في الكتب المعتمدة، وإنما الحديث المحفوظ حديث أنس ، وقد استوعب تحريجه وبين صحته شيخنا مقبل في كتابه الشفاعة ولفظه: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»، وفي حديث أبي موسى أن النبي قال: «حُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَّائِينَ، الْمُتَلَوِّثِينَ».

فنؤمن بأحاديث الشفاعة: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» متفق عليه، ومن قال: بعد الأذان: «اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ النَّائِمَةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ» أخرجه البخاري كان ذلك من أسباب شفاعة النبي له.

ويشفع النبيون والمؤمنون والملائكة، ورب العالمين يتفضل بعد ذلك على من يشاء، فعن أبي سعيد عند مسلم (١٨٣) «فَيَقُولُ اللَّهُ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصْفَرُ وَأُخْضَرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ؟» فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» وتكون

الشفاعة العظمى في الفصل بين العباد، وفي حديث أنس في الصحيحين قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِدُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ

عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأُحَمِّدُهُ بِمَحَامِدٍ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمْنِيهِ اللَّهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمِّتِي أُمِّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأُحَمِّدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَأَقُولُ: أُمِّتِي أُمِّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأُحَمِّدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمِّتِي أُمِّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بَظْهَرِ الْجَبَّانِ، قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثِ حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيَ، فَحَدَّثَنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيَ قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمِئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَذْرِي أَنَسِي الشَّيْخُ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ، فَتَكَلَّمُوا، قُلْنَا لَهُ: حَدَّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْوهُ،

«ثُمَّ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرْ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ - وَلَكِنْ وَعِزِّي وَكِبْرِيَايَ وَعَظَمَتِي وَجَبْرِيَايَ، لَا أُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ومن أنواع الشفاعة الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة، فإنه لا يفتح باب الجنة إلا النبي قال: «آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» أخرجه مسلم (١٩٧) عن أنس .

وتكون الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار على مل تقدم، وتكون الشفاعة برفع درجات بعض المؤمنين في الجنة، وهذا النوع تثبته المعتزلة أيضًا. وتكون الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما في حديث ابن عباس عند الشيخين: قال رسول الله : «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ،

وَلَا يَكْتُوبُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

وقد تكلم ابن أبي العز عن هذه الأقسام في كتابه شرح العقيدة الطحاوية .
والشفاعة المنفية هي شفاعاة الأصنام، وشفاعة الأوثان، والشفاعة للكافرين: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

فأما شفاعاة النبي لأبي طالب فليست من هذا الباب، فإنها شفاعاة مقيدة ولا يخرج بها أبو طالب من النار وإنما يخفف عنه العذاب، للدور الذي قام به في الدفاع عن النبي ونصرته.



الإيمان بعذاب القبر

قال رحمه الله:

..... وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

الشرح:

عذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع قال الله في شأن قوم فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقال: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ (٨٦) ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٧) ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (٨٩) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠) ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩١) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٩٢) ﴿فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٩٣) ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ﴾ (٩٤) ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٩٥) ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٦-٩٦].

إثبات عذاب القبر تقدم الكلام عليه، وقد ألفت فيه بحمد الله كتاباً مطبوعاً، ونزيد ما جاء في حديث عائشة (عذاب القبر حق) متفق عليه، وقال في حديث أبي هريرة: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: من عذاب جنهم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال) متفق عليه.

وفي حديث عائشة في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ

الْفَقْرُ، وَمَنْ شَرَّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلَجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». وفتنة القبر هو السؤال: «مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟» ولا يسلم منها أحدٌ إلا من استثناه الدليل، وهم الأنبياء؛ لقول الرسول : «فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ» أخرجه أحمد عن عائشة . والشهداء لقول النبي : «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رُءُوسِهِمْ فِتْنَةً» أخرجه النسائي. والصديقون؛ لأنهم أفضل من الشهداء. والمرابطون؛ لما صح عند مسلم عن سَلَمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَانَ». وفي القبر ضمة لا يسلم منها الأنبياء، ففي الحديث عن ابنِ عُمَرَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ».



حكم تكفير المسلم العاصي

قال رحمه الله:

٢٩- ولا تُكْفَرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

الشرح:

كما أشار بهذا البيت إلى عقيدة أهل السنة في أصحاب الكبائر من أهل التوحيد ومن كان من أهل الصلاة وأهل القبلة لا تكفرهم بمجرد وقوع المعاصي منهم، فالتكفير بالمعاصي والكبائر منهج الخوارج، وليس منهج أهل السنة والجماعة، فأهل السنة إنما يكفرون من كفره الله ورسوله.

وسبب ضلال الخوارج: أنهم عمدوا إلى أدلة الوعيد، ولم ينظروا في أدلة الرجاء، ولم يجمعوا بين الأدلة، وهذا مذهب يضل به كثير من الناس، فالمرجئة عمدوا إلى أدلة الرجاء، وتركوا أدلة الوعيد، والقدرية عمدوا إلى أدلة: تنزيه الله عن الشر، ولم ينظروا إلى أدلة الخلق وأدلة المشيئة.

والجبرية لم ينظروا إلى أدلة استطاعة العبد، وفعل العبد، وذهبوا إلى أدلة المشيئة والإرادة الكونية وزعموا أن العبد مجبور، وأنه كالريشة في مهب الريح. وهكذا كل طائفة تضل من هذا الباب، بسبب عدم الجمع بين أدلة الكتاب والسنة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ لأنها وحيٌ يوحى.

فضلال الخوارج يبيّن واضح، وذلك أنهم عمدوا إلى معاصي سماها رسول الله كفراً، وفسوقاً، وإلى أدلة قال فيها الرسول «لَيْسَ مِنَّا» فظنوا أن هذه الأدلة يراد بها التكفير، مع أن النبي قال لأبي ذر: «إِنَّكَ أَمْرُؤُ

فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» متفق عليه عن أبي ذر ، ولم يكن هذا تكفير له، وقال: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» متفق عليه عن ابن مسعود ، وقد بين الله أن قتال المؤمنين فيما بينهم ليس بكفر ناقلٍ عن الملة بقوله: ﴿وإن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]، فسماهم مؤمنين مع إثبات القتال بينهم، ويقول النبي : «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» متفق عليه عن أبي بكر ، ولو كان مرتكب الكبيرة يكفر لكان حده الردة مطلقاً، مع أن الزاني حده الرجم إن كان محصناً والجلد إن كان ثيباً.

والسارق حده القطع، والقاذف حده الجلد، وشارب الخمر حده الجلد، فلو كان كما يقول هؤلاء الضالون المبتدعون لكان حد الجميع القتل ردة لا حداً.

فتنبه لهذا الأمر فإنه أمر مهم يُعرف به ضلال أهل البدع في هذا الباب.

وقوله: (فكلهم يعصي) يشير إلى حديث أبي ذر عند مسلم عن النبي فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ

وَأَخْرَكُكُمْ وَإِنْسَكُكُمْ وَجَنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَأَخْرَكُكُمْ وَإِنْسَكُكُمْ وَجَنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ بِمَا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِإِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

وفي حديث أبي موسى : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» أخرجہ مسلم.

وسبب ضلال المرجئة والخوارج بهذا الباب، أنهم جعلوا الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، فلما كان من عقيدة الخوارج أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فالعشرة إذا نقص منها واحد كانت تسعة ما تقول عشرة، والمرجئة قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، إذا المعاصي لا تؤثر في الإيمان، فصار الخوارج والمرجئة طرفي نقيض، بينما أهل السنة يشبتون: أن الأعمال داخلية في مسمى الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن المعاصي تؤثر بحيث ينقص معها الإيمان وربما ذهب بالكلية وهكذا.



مسألة تارك الصلاة

هذه المسألة اختلف فيها العلماء بعد اتفاقهم على أن من تركها جاحداً فهو كافر، فذهب جمهورهم على أن من تركها غير جاحد لها وإنما تكاسلاً عنها فليس بكافر كفر أكبر مخرج من الملة، مع اتفاقهم على قتله وذهب جمهور الحنابلة إلى كفر تارك الصلاة كفر أكبر مخرج من الملة، وهذا القول هو الصحيح لما يأتي، وقد نقل إسحاق بن رهويه الإجماع على كفر تارك الصلاة وكذا ابن القيم وغيرهم.

يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَتُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، فمفهوم الآية أنهم إذا تركوا الصلاة ليسوا بأخوة لنا.

وفي حديث جابر عند مسلم: بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة. وفي حديث بريدة عند الترمذي: قال رسول الله ﷺ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر.

وفي حديث أبي سعيد في الشفاعة أن النبي ﷺ يعرف من في النار من أمته بواضع السجود.

وفي حديث حذيفة في مسلم أن النبي ﷺ يعرف أمته في أرض المحشر بمواطن الوضوء فأبي سجود وأي وضوء عند تارك الصلاة حتى يعرف به بل وفي حديث سعيد في الشفاعة وقد تقدم أنهم يعرفونهم بأثار السجود. إلى غير ذلك مما ليس هذا موطن بسطه.



إثبات العرش

وفي البيت إشارة إلى إثبات عرش الله وهو عرش عظيم استوى عليه جل وعز قال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، أي: علا وارتفع وصعد واستقر، كما هو تفسير السلف بإثبات الاستواء يثبت الله صفة العلو، أي: علو الذات على العرش الذي تواترت الأدلة على إثباته، على ما هو مقرر في موطنه، والعرش أعلى المخلوقات لقول النبي ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

وهو أكبر المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وفي قراءة قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ بجر (المجيد) يكون المراد به العرش الواسع، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» أخرجه مسلم عن جويرية، فلو كان ثمت مخلوق أكبر من العرش لذكره .

وله قوائم كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : «لَا تُخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فَيَمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى» أخرجاه في الصحيحين . خلافاً للفلاسفة ومن إليهم ممن لا

يشتون العرش ويحمل قال الله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِينَةً﴾ [الحاقة: ١٧]، وفي الحديث عن أنس بن مالك، أن رسول الله قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رَجُلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعُمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلِكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتُ»

وقد توسعت فيما يتعلق بهذه المسألة في كتابي شرح أصول السنة لابن أبي زمنين.

ومن هذا الباب إثبات الكرسي قال الله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقد صح عن ابن عباس أنه قال (الكرسي موضع قدمي الرحمن) وهذا الأثر مما لا مجال للعقل فيه وفيما تقدم من الأدلة رد على من زعم إن العرش هو الملك والكرسي هو العلم.



بيان عقيدة الخوارج

قال رحمه الله:

٣٠- ولا تعتقد رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يُردي ويفضح

الشرح:

الخوارج من الفرق الضالة التي تكفر المسلمين وتستبيح دماءهم وأموالهم، ورأي الخوارج مذموم، فاضح لأصحابه، سباهم رسول الله «كَلَابُ النَّارِ» أخرجه أحمد عن أبي أمامة ، وسباهم رسول الله «شُرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» أخرجه مسلم عن أبي ذر ، وقال عنهم رسول الله : «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّاهُمْ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ» وفي بعضها: «قَتْلَ ثَمُودَ» متفق عليه عن أبي سعيد ، وقال: «قَوْمٌ أَحْدَثُوا الْأَسْنَانَ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» متفق عليه عن علي وغيره.

وذمهم ثابت بالكتاب والسنة، فلا تعتقد رأيهم، ولا تكفر المسلمين، وإنما من وقع منهم في معاصي وإجرام فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وهذا المنهج الخارجي تستباح به الدماء والأعراض والأموال، وما رأيتموه ورآه الناس وسمعتموه وسمعه الناس مما حصل في بلاد الجزائر وغيرها لأكبر برهان على ضرر الخوارج، فلهذا قال علي بن أبي طالب : (أأذهب إلى معاوية في الشام، وأدع هؤلاء في ذراري المسلمين). فيتعين قتال الخوارج الممتنعين الباغين قبل قتال الكافرين؛ لأن الخوارج على مر التاريخ فتكهم بالإسلام وأهله، ومن

يؤمنه الإسلام، ومن هو في ذمة الإسلام، ولا توجد لهم مواقف ضد اليهود والنصارى، وإن تكلموا بأفواههم، والواقع أكبر شاهد: أنهم عملاء لليهود والنصارى، عملاء إما بلسان المقال أو الحال، وهم أصحاب الشعارات الرنانة، البعيدة عن الواقع، فلهذا لما قالوا لعل بن أبي طالب : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال: كلمة حق أريد بها باطل.

فالبعد البعد عن مذهبهم ومنهجهم والتحذير منه، وإيانا وغلوهم في التكفير، فإنه غلو يؤدي إلى مخالفة هدي السلف، وإلى مخالفة الطريق المستقيم، فالتكفير خطره كبير، ولهذا قال بعض السلف: لئن أخطئ وأقول في كافر: بأنه مؤمن أهون عندي بأن أقول لمؤمن أنه كافر، والنبى يقول: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَذَلِكَ وَإِلَّا حَارَ عَلَيْهِ» أخرجاه عن ابن عمر .

وهو مقال من تشغف فيه أرواه وقل ورعه، وقل حياؤه، وقلت رحمته، قتلوا امرأة خباب وبقروا بطنها، وفعلوا الأفاعيل الشنعاء، وكفروا أصحاب النبى ، ومن باب أولى تكفير غيرهم، فمنهجهم خطير بائر، رأسهم وذروتهم تكلم وطعن في رسول الله وفي منهجه وطريقته، وقال له: إعدل، انظر إلى قلة أدبهم مع صفوة الخلق، ولا تغرك عباداتهم، وهذا في خوارج ذاك الزمان، أما خوارج زماننا فمن أسقط الخلق، لا صلاح ولا عبادة، ولا علم، ولا حلم، ولا شيء، وانظر أولئك، قال فيهم النبى : «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»، وقال : «تَحْفَرُونَ صَلَاتَكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

وفي آخر كتاب الزكاة من صحيح مسلم شيءٌ من مساوئهم وصفاتهم.
ويجب هجرهم والتحذير منهم، وإقامة الحجة عليهم، وزجرهم عن
باطلهم، ولا تجوز مصالحتهم، ولا إعطاءهم الأموال والمساعدات، فإن ذلك
مما يعين على نشر باطلهم.
وقد بينت ووجهت المسلمين إلى طرق التعامل معهم في رسالته: توجيه
المسلمين إلى الطرق الشرعية في التعامل مع الخوارج من أصحاب تنظيم
القاعدة، والرافضة الحوثيين.



بيان عقيدة المرجئة

قال رحمه الله:

٣١- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لْعُوبَا بَدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرُحُ

الشرح:

الإرجاء هو التأخير، قال تعالى: ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لَأَمْرٍ لِّلَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]،
وهم فرقة مبتدعة ظهرت أزاء الخوارج.

فإذا حذرتَ منهج الخوارج، وأقبلت على الطاعات والقربات، وعرفت
خطر المعاصي والسيئات، لا يحملك ذلك على أن تعتقد منهج المرجئة المذموم
الحقير، الذي يُجرئ على المعاصي والسيئات، ويُجرئ على البدع والخرافات
ويُجرئ على الشراكيات حتى قال إبراهيم النخعي: لأننا من مذهب المرجئة
أخوف على هذه الأمة من عدتهم من الخوارج.

والمرجئة ينقسمون إلى أربعة أقسام:

مرجئة الجهمية: الذين يزعمون أن الإيمان هو المعرفة فقط، فلازم قولهم أن
إبليس مؤمن، وفرعون مؤمن؛ لأنهم وإن تلفظوا بالكفر وقالوا به، واعتقدوه،
وكانوا رأس الكفر إلا أنهم يعرفون الله بقلوبهم.

وإبليس يقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، حتى قال ابن أبي العز وغيره
بمعنى كلامهم: أدخل جهنم إبليس في الإسلام وأخرج نفسه من الإسلام؛ لأن
إبليس يعرف ربه وجهنم بن صفوان لا يعرفه، جهنم يقول: ربي لا فوق ولا تحت
ولا داخل ولا خارج، ولا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، ولم يثبت لله

صفة، وإبليس يقول: ﴿فِعْرَنِكَ﴾ [ص: ٨٢]، ويقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

وقالت الماتريدية: الإيمان اعتقاد القلب فقط، ونطق اللسان شيء زائد.

وقالت الكرامية: الإيمان قول اللسان، وهؤلاء يلزمهم أن يكون المنافقون مؤمنون كاملو الإيمان.

وقالت مرجئة الفقهاء كأبي حنيفة وحامد بن أبي سليمان، والطحاوي ومن سار على سيرهم:

الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وأخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان مخالفين للأدلة القرآنية والأحاديث المروية والآثار السلفية.

والأعمال داخله في مسمى الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَلَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، والرسول يقول: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه عن أبي هريرة . وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ» متفق عليه. والنبي يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ

لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه عن أنس . ويقول: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ» متفق عليه، فالأعمال داخلية في مسمى الإيمان، وإخراجها عن مسمى الإيمان إرجاء وفي هذه الأيام ظهر مذهب خامس يزعم أن الأعمال شرط كمال في الإيمان، ومن ترك عمل الجوارح بالكلية فهو كافر كما بينت ذلك في مقدمة كتابي الإيمان الكبير.

وأصل الإرجاء ترك الاستثناء في الإيمان كما قال ابن مهدي، يقولون: إذا قلت: أنا مؤمن إن شاء الله، أنت شاك في إيمانك وأنت كافر، بينما أهل السنة يرون استحباب الاستثناء لا على الشك، فالشك لا يجوز في الإيمان، وإنما على ما يختتم لهم أو على الكمال، أو على التبرك بذكر اسم الله تعالى. وقد جاء الاستثناء في قول الله ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقد علم أنهم داخلون والنبي لما زار القبور قال «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا».

وذهب قوم إلى وجوب الاستثناء، وهذا قول غير صحيح، والمذهب الحق هو التفصيل: وهو استحباب الاستثناء في الإيمان: أنا مؤمن إن شاء الله، أنا من أهل الجنة إن شاء الله، أو أرجو على تنوع في عبارات السلف.

قال أحدهم لعبدالله بن مسعود: أنا مؤمن، قال له عبدالله بن مسعود، قل: أنا في الجنة.

وقد وضح هذه الأقوال وبيان الحق فيها الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه الإيمان، وقد حققته بحمد الله تعالى؛ وعلقت عليه بما نرجو أن يزيد به نفعاً وتوضيحاً.



عقيدة أهل السنة في الإيمان

قال رحمه الله:

٣٢- وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحٌ

الشرح:

هذا هو معتقد أهل السنة في الإيمان والإيمان لغة الإقرار وفي الشرع هو قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وبعضهم يكتفي بتعريفه (قول وعمل) والمراد: قول القلب هو إقراره واللسان وهو نطقه وعمل القلب الذي هو نيته وتوكله وخوفه وغير ذلك وعمل الجوارح. وهذه مخالفة لمعتقد الخوارج والمرجئة ومن على شاكلتهم من الضلال وقد نقل الإجماع على قول أهل السنة في الإيمان الشافعي والبغوي في شرح السنة ونقله عنهم شيخ الإسلام في كتاب الإيمان ويدل على تعريف أهل السنة للإيمان حديث أبي هريرة عن مسلم «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» فذكر الحياء الذي هو فعل القلب والشهادة التي هي نطق اللسان واعتقاد القلب وإزالة الأذى الذي هو فعل الجوارح.

قيل لعبدالله بن المبارك، يقولون: إنك مرجئ، قال: المرجئة لا يقبلونني، فأنا أقول الإيمان يزيد وينقص، وأنا أقول الإيمان قول وعمل.

وهكذا الشيخ الألباني نقول: المرجئة لا تقبله؛ لأنه هدم مذهبهم وبين عوارهم، فاعتقاده في الإيمان هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

قال رحمه الله:

٣٣- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي فِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ

الشرح:

هذا بيان منه لمعتقد السلف في زيادة الإيمان، ونقصانه، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال النبي: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، وفي الحديث الآخر: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ». وقال النبي: «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً». وقوله تعالى: ﴿وَبَرَدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فالإيمان يزيد بالطاعات والمبرات، وينقص بالمعاصي والسيئات.

والإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، تقول: أنا مؤمن مسلم، فالإسلام يراد به الأعمال الظاهرة، والإيمان يراد به الأعمال الباطنة، فإذا قلت: أنا مؤمن فالمراد بالإيمان: الإسلام والإيمان، وإذا قلت: أنا مسلم، المراد به الإيمان والإسلام، الأعمال الظاهرة والباطنة يدل على ذلك أن الله يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا سَلَمٌ﴾ [آل عمران: ١٩]، وفي حديث عمر عند مسلم (٨)

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تِلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». فَمَسَى الْإِيمَانَ، وَالْإِسْلَامَ، وَالْإِحْسَانَ دِينًا.

وفي حديث ابن عباس عند الشيخين إِنَّ وَفَدَ عَبْدَ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ قَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الْوَفْدُ؟ -» قَالُوا: رِبِيعَةٌ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ، فَمَرْنَا بِأَمْرِ فَضْلِ، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَسَلَّوَهُ عَنِ الْأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ»

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الْحَتَمِ وَالِدِّبَاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَقَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُقِيرِ. وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ».



وجوب الأخذ بالدليل وترك آراء الرجال

قال رحمه الله:

٣٤- وَدَعْنَا عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

الشرح:

وهذه النصيحة ختم بها الإمام عقيدته، وقصيدته، فانتبه أيها المسلم واستفد منها.

قوله: (فدع عنك) أي: اتركها وأهجرها وباينها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قوله: (آراء الرجال) أي: أقوالهم المبنية على الرأي المحض المخالف للدليل، قال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول.

عليك بالخبر، عليك بالدليل، فإن فيه نجاة وهو الموصل إلى سواء السبيل، وفي الصحيحين عن سهل بن حنيف قال: اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ لَرَدَدْتُه، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرِ يُفْظَعُنَا، إِلَّا أَسْهَلَنَّا بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرَ أَمْرِنَا هَذَا.

وفي البخاري عن الزُّبَيْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ عَنْ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَلِمُهُ وَيَقْبَلُهُ. قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمَتْ، أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبَتْ، قَالَ: اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِالْيَمَنِ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَلِمُهُ وَيَقْبَلُهُ.

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري: عن عبدالله بن عمرو قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوَهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ، يُسْتَفْتُونَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ».

وكان السلف يسمن المخالفين للكتاب والسنة بالهوى أصحاب الرأي.

وفي الأثر: أصحاب الرأي أعداء السنن.

وقوله : (فَقُولُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى) أي أطهر وأفضل؛ لأنه من عند الله وما كان عند الله فهو الخير العظيم والسبيل القويم والطريق المستقيم قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَنِ شَيْءٍ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَئِكَ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، فهذه طريقة رسول الله .

وقوله : (وَأُشْرَحُ) أي: أشرح للصدور؛ لأنها الحق الذي لا لبس فيه ولا باطل.



الحذر من الطعن في أهل الحديث

قال رحمه الله:

٣٥- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

الشرح:

وهذا تحذير من أقوام من أهل البدع والضلال الذين (تلهؤا بدِينِهِمْ) ويصرونه على أهوائهم وأرائهم وأوصلتم هذه الطريقة إلى الطعن في الصحابة ومن على طريقتهم وثم ختم بهذه النصيحة الطيبة وهي التحذير من الطعن في أهل الحديث بعد تحذيره من الرأي المذموم.

قُلْ لِمَنْ عَانَدَ الْحَدِيثَ وَأَضْحَى عَائِبًا أَهْلَهُ وَمَنْ يَدَّعِيهِ
أَبْعَلِمِ تَقُولُ هَذَا أَبْنِي أَمْ بِجَهْلٍ فَالْجَهْلُ خُلُقُ السَّفِيهِ
أَيَعَابُ الَّذِينَ هُمْ حَمَلُوا الدِّيْنَ مِنْ التُّرَّهَاتِ وَالتَّمْوِيهِ
وإِلَى قَوْلِهِمْ وَمَا قَدْ رَوَوْهُ عَائِدُ كُلِّ عَالَمٍ وَفَقِيهِ

كل عالم، كل فقيه، كل محب للإسلام، كل مرید لطاعة الرحمن عائد إلى قول أهل الحديث، وإلى نقولات أهل الحديث، وإلى اعتقاد أهل الحديث، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل.

وأهل الحديث هم: أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، بهم يستنير السائر في الظلمى، هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، كما قال النبي : «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ

وَهُمْ كَذَلِكَ» وهم أهل الحديث بنصوص السلف، فالطعن في أهل الحديث ضرر، ومن علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر، ومن طعن فيهم وفي طريقتهم فإنه على غير سبيلهم، وعلى غير طريقهم، وإذا رأيت الرجل يطعن في أهل السنة، فاعلم أنه على غير طريقهم، وقد اختبر السلف بأسلافهم، ففي الحديث عن علي قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ: «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»، وفي الأنصار: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ»، وقالوا في مكحول: من تكلم في مكحول فاتهموه على الإسلام. من تكلم في حماد فاتهموه على الإسلام، من تكلم في أحمد فاتهموه على الإسلام.

وقد تكلمنا على هذه المسألة بتوسع في كتاب الخيانة الدعوية حجر عشرة في طريق الدعوة السلفية .

بل يجب علينا أن نشني على أهل الحديث ونذكرهم بالجميل، وندعو لهم بهم حفظ الله الدين، وبهم أزال الله البدع والضلالات، وبصر الله بهم من العمى وهدى بهم من الضلالة، فالثناء عليهم دعوة إلى الخير ودلالة إليه، والنبي يقول: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» أخرجه مسلم (١٨٩٣) عن أبي مسعود . وهو من الشكر، والنبي يقول: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» أخرجه أبوداود (٤٨١١). ومن الرد عن عرض الأخ، وفي الحديث: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» إلى غير ذلك، والحمد لله.



خاتمة الرسالة

قال رحمه الله:

٣٦- إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فأنت على خير تبیت وتُصْبِحُ

الشرح:

وختم هذه المنظومة بالحث على اعتقاد الحق الذي تضمنته من بيان طريقة السلف الصالح في باب المعتقد فيقول: إذا أنت اعتقدت هذا المعتقد الطيب المبارك، المدعم بالآيات والأحاديث الذي هو عقيدة السلف إن شاء الله تصير على خير، إذا كان دينك الدليل، والتمسك بحبل الله وإتباع الهدى، وإتباع السنن والآثار، والبعد عن الآراء والأهواء، باعتقاد ما اعتقده المسلمون الأولون من المهاجرين والأنصار، فأنت إن شاء الله على خير وعلى طريق قويم، وعلى صراط مستقيم، ومن دعاة الهدى ومن المتصدين للردى.

فنسأل الله أن يرحم أبا بكر بن أبي داود، وأن يجزل له المثوبة، وأن يرحم جميع أهل السنة، أهل الحديث والآثر، أهل الخير والبر، وأن يعلي درجاتهم، وأن يمكن لدعوتهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

يقول في آخرها هذا اعتقاد أحمد بن محمد بن حنبل، ومن نقل عني غير ذلك فهو كاذب، وكأنه -والله أعلم- رد بهذه العقيدة على شيء أشيع عنه، فلا ينبغي للمسلم إذا أشيع عنه ما ينقض ما هو عليه من الخير والبر أن يسكت بل عليه أن يبين عقيدته الصافية، ومنهجه القويم، والرسول يقول: (ذودوا عن أعراضكم بالمال)، والرسول يقول (إنها صفة).

واستدل العلماء بهذا الحديث: على أن طالب العلم والعالم ينبغي لهم أن يردوا الإشاعات التي تشاع عنهم؛ لأن الطعن في حملة الدين طعن في الشريعة، والتحذير من العالم تحذير فيما يحمل، والإمام الطبراني، لما ذكروا عنه بعض المعتقدات الفاسدة ألف مؤلفاً سماه صريح السنة يبين فيه ما يسير عليه، ويدعو على من اتهمه بالتهمة الباطلة.

فصفاء طالب العلم وصفاء العالم من أسباب قبول دعوته، ولا تدع للمتكلمين مجالاً وللطاعين مجال، فإن كنت وقعت في الزلل والخطل فتب إلى الله واستغفره: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، وبين ما كنت عليه، وبين الحق الذي تدعو إليه بأدلته وبراهينه، أما أن تجعل المتكلمين يتكلمون، ومن أراد أن يطعن يطعن، وأنت ساكت فهذا يضر الدعوة، ويضر الداعي، وقد تكلمت على أهمية رد الإشاعات في كتاب الوسائل الجليلة لنصرة الدعوة السلفية قلت فيها:

الثانية والأربعون: حرب الشائعات:

ما أن تظهر للداعي إلى الله دعوة إلا وبدأت حرب الإشاعات عليه من القريب قبل البعيد، وهذه سنة الله في خلقه، علمت بأدلة الكتاب والسنة كما هي معلومة في الواقع الملموس.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ [الذريات: ٥٢].

قال الله مخبراً عن قوم نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩) قَالَ أَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٠].

يعتبرونه ضالاً واشاعوا هذا بين العام والخاص تحذيراً من دعوته وحرماً لعقيدته، فكان نافياً لهذه الشائعة التي يراد بها الصد عن الحق: ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦١) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢].

وعاد يتهمون هود عليه السلام بأنه سفيه، حيث قالوا: ﴿وإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْتَفُونَ﴾ (٦٥) قَالَ أَلْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٦].

ففندها بقوله: ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٧) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٧﴾ [الأعراف: ٦٧-٦٨].

فانظر وفقك الله إلى طريقة هؤلاء الرسل في رد الإشاعة برفق ولين، وبيان أن ما ذكر عنهم هو محض الباطل، والحق هو أنهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكانت عاقبة الذين كفروا خسرًا.

وهذا فرعون لعنه الله حين جاءه موسى عليه السلام بالدعوة إلى الله وأراه الآيات البينات أرسل إلى السحرة وإلى الملاء من قومه مشيعاً أن موسى ساحر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا

لَا تُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ
صُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ، ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا
تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ
بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذِهِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ
أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً
مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ سُبْحًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ
وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ
فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ
عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ
عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿طه: ٥٦-٧٦﴾.

فانظر كيف أشاع فرعون وملائته، ومع ذلك كتبهم الله وبين عوار ما
هم عليه، ونصر الحق وأهله فله الحمد.

وإبراهيم عليه السلام أشيع عنه الضلال، وهكذا في كل وقت وحين ولكن
العاقبة للمتقين.

وأما رسولنا فقد ناله القسطن الأكبر من حرب الشايعات، فها هو من أول يوم وهو في مكة يزعمون أنه مجنون.

أخرج الإمام مسلم (٨٦٨): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءٍ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوْهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضِمَادٌ.

فهذه شائعة جعلت من وصل مكة وهو لا يعرف النبي يظنه مجنون، فلا يقبل منه حقاً ولا يصدق له خبراً، ولا يبذل له نصراً؛ لأن المجنون يتكلم بما لا يدري، ويهرف بما لا يعرف، لكن رسول الله سرعان ما رد تلك الشائعة ببث شيء من الحق، فهدى الله ضِمَادًا وحصل الخير له ولقومه والحمد لله.

وفي حديث أبي ذر عند مسلم (٢٤٧٣) قَالَ: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أَنَيْسٌ وَأُمُّنَا، فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أَنَيْسٌ، فَجَاءَ خَالُنَا فَتَنَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَذَّرْتَهُ وَلَا جَمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ، فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا وَتَعَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَاْنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ فَنَافَرَ أَنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا، فَاتَّيَا الْكَاهِنَ فَخَيَّرَ أَنَيْسًا فَاتَّانَا أَنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا، قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قُلْتُ، فَأَيْنَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهَ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي أَصْلِي عِشَاءً، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ حَتَّى تَعْلُونِي الشَّمْسُ، فَقَالَ أَنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْنِفْنِي، فَاْنْطَلَقَ أَنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَرَاثَ عَلِيٍّ، ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكَانَ أَنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ، قَالَ أَنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ فَمَا يَلْتَمِثُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، قَالَ: قُلْتُ: فَاكْنِفْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ، قَالَ: فَاتَّيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِيَّ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ الصَّابِيَّ: فَهَالِ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظْمٍ حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ، قَالَ: فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصَبُّ أَحْمَرَ، قَالَ: فَاتَّيْتُ زَمْزَمَ فَعَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَاءَ وَشَرَبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْكَ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي

سُخْفَةً جُوعٍ، قَالَ: فَبَيْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمَرَاءَ إِضْحِيَانٍ إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمَحَتِهِمْ، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ وَامْرَأَتَيْنِ مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا وَنَائِلَةً، قَالَ: فَأَتَتَا عَلِيَّ فِي طَوَافِهِمَا، فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى، قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ قَوْلِهِمَا، قَالَ: فَأَتَتَا عَلِيَّ فَقُلْتُ: هُنَّ مِثْلُ الْحَشَبَةِ غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي، فَانْطَلَقَتَا تَوَلَّوَانِ وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُوبَكْرٌ وَهُمَا هَابِطَانِ، قَالَ: «مَا لَكُمَا؟» قَالَتَا: الصَّابِيُّ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا، قَالَ: «مَا قَالَ لَكُمَا؟» قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ. وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَقُلْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنْ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ أَخْذُ بِيَدِهِ فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءٌ رَمَزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٍ، قَالَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُوبَكْرٌ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، ثُمَّ عَبَرْتُ مَا عَبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضَ ذَاتِ نُخْلٍ لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ» فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ، فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ

وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا
فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا
قَوْمَنَا غِفَارًا فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يُؤْمُهُمْ أَيَّامُ بَنِي رَحْصَةَ الْغِفَارِيِّ، وَكَانَ
سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ
الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي، وَجَاءَتْ أَسْلَمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيَّاكَ
نُسَلِّمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ
لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ». ثُمَّ قَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ،
أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ بِهَذَا
الْإِسْنَادِ وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: قُلْتُ: فَكَفِّنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ، قَالَ: نَعَمْ، وَكُنْ عَلَى
حَذَرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنِفُوا لَهُ وَتَجَهَّهُوا، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْزِيُّ،
حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا ابْنَ أَخِي صَلَّيْتُ سَتَتَيْنِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ،
قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ كُنْتَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ وَاقْتَصَّ الْحَدِيثُ بِنَحْوِ
حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: فَتَنَافَرَا إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْكُفَّانِ قَالَ:
فَلَمْ يَزَلْ أَخِي أُنْسُ يَمْدَحُهُ حَتَّى غَلَبَهُ، قَالَ: فَأَخَذْنَا صِرْمَتَهُ فَضَمَمْنَاهَا إِلَى
صِرْمَتِنَا، وَقَالَ أَيْضًا فِي حَدِيثِهِ قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى
رَكَعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَإِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ:
قُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَنْ أَنْتَ؟ وَفِي حَدِيثِهِ
أَيْضًا فَقَالَ: مُنْذُ كَمْ أَنْتَ هَاهُنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: مُنْذُ خَمْسَ عَشْرَةَ، وَفِيهِ: فَقَالَ
أَبُوبَكْرٍ: أَتُحْفِنِي بِضِيَافَتِهِ اللَّيْلَةَ.

ومع ذلك الإشاعة الباطلة يجب أن تُجلى حتى لا يقع اللبس والظن الفاسد في الداعي إلى الله ، ولهذا حين قالوا: ﴿ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦]، ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢].

وأشاعوا عنه الجنون والسحر، وهم على معرفة تامة بكون ما اتهموه به كذب وبهتان، لكن حملهم على ذلك المكر بالدعوة.

وكانوا يشيعون عنه الكذب: ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤]، مع علمهم بأنه الصادق الذي لا يكذب، والأمين الذي لا يخون، لكنه المنكر بالدعوة.

وزعموا أن هذا القرآن الذي يمليه عليهم ويدعوهم إليه تلقاه من بعض النصاري: ﴿ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]، فرد الله عليهم هذه الشائعة بقوله: ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

فهذه طرق عدة استخدموها لتشويه الدين، ومع ذلك: ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨]، ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُكَ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١].

لكن يجب على المؤمن الداعي إلى الله أن يرد الإشاعة ويبين عوارها وكذبها وزيفها حتى لا يتأثر بها متأثر، ويستغلها كل كذاب أشر.

ولما سكن الوحي في فترته زعموا وأشاعوا أن الله قال: أي ترك محمد كما في البخاري (٤٩٥٠) مع تصويرهم أن الذي يأتي النبي هو شيطان لا ملك كريم: عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ

يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتْ امْرَأَةً فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ قَوْلُهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ - تُقْرَأُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ - مَا تَرَكَكَ رَبُّكَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ.

وكم الاشاعات التي استخدمها كذلك اليهود والمنافقون بعد قدوم النبي المدينة طعنًا في الدعوة، وهدمًا لرجالها، ولكن الله لهم بالمرصاد، فمن هذه إشاعة الألفك عن أم المؤمنين عائشة ، وقد تقدم الحديث وقام رسول الله محذرًا من هذه الشائعة، وقد تقدم الحديث مرار فلا داعي للتكرار.

ومع ذلك أنزل الله قرآنًا يتلى لصد هذه الشائعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ۝١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [النور: ١١-٢١].

ولما أشيع بين المسلمين يوم أحد أن النبي قتل، وكان القائم بهذه الشائعة إبليس عليه لعنة الله حصل بالمسلمين ما الله به عليم من الهم والحزن، حتى جاء الفرج بعد ذلك، قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَثْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

والإشاعة مستمرة على الحق في كل زمان ومكان، ولكن الله يبطلها. فبعد ظهور البدع اتهمت المعتزلة ومن يأخذ بأقوال الجهمية والأشاعرة أهل السنة بأنهم حشوية ممثله.

قال الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٩٩): وعلامات أهل البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي .

واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهه. وقال أبو حاتم الحنظلي كما في عقيدة السلف أصحاب الحديث (٣٠٤): علامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الآثار.

وعلامة القدريّة تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهميّة تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسمية أهل السنة نابته وناصبة.

وهذه الألقاب التي يسمون بها أهل السنة ثم يشيعونها هي للتحذير مما هم عليه، ولكن الحق منصور والباطل مقهور، والحق أبلج والباطل لجلج.

وفي زمننا هذا يشيعون ويلمزون أن أهل السنة السلفيين يحرمون حلب البقرة من قبل المرأة، وشراء الجزر والموز والخيار، ويحرمون الأكل بالملاعق وأنهم سبابه شتامة جهلاء بفقهاء الواقع، أو عملاء جواسيس، أو علماء حيض ونفاس، وهكذا دواليك.

فيجب حرب هذه الشائعات وإبراز الحقائق للناس بالحجة والبرهان، حتى يظهر الحق ويستبان، ولا تكون للناس حجة في عدم قبوله ورده.

الثالثة والأربعون: الرجوع إلى الحق:

الله يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

ويقول: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ويقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء: ٨٥].

ويقول: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ٧٨ ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩].

مما تقدم يتبين أن الله أمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته، وأمرنا بالاتباع وحذرنا من المخالفة والابتداع، إلا أن الإنسان قد يخالف الحق والصواب لسبب أو لآخر، إما لجهل أو تأويل أو ذهول وغير ذلك من الأمور التي تعتري البشر وتوقعهم في الشر، فشرع التوبة والإنابة والرجوع عن الدليل، وأمر به؛ لأن الحق واحد؛ ولذلك قال : «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ» أخرجه مسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص .

ورسول الله كان إمام المتقين في هذا الباب وفي غيره، فقد جاء من حديث عبدالله بن مسعود في الصحيحين وغيرهما، البخاري (٤٠١)، ومسلم (٧٢): صَلَّى النَّبِيُّ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا أَذْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا فَثَنَى رِجْلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ قَالَ: «إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَأْتُكُمْ بِهِ وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَسْلَمْ ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ».

فلما ذكر رجع .

وأخرج مسلم (٥٧٣) (٥٧٤): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ إِمَّا الظُّهْرَ وَإِمَّا الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَتَى جِدْعًا فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَاسْتَنَدَ إِلَيْهَا مُغْضِبًا وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يَتَكَلَّمَا، وَخَرَجَ سَرْعَانُ النَّاسِ قُصِرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَامَ ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ أَفْصَرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ؟ فَنَظَرَ النَّبِيُّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ: «مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟» قَالُوا: صَدَقَ لَمْ تُصَلِّ إِلَّا رَكَعَتَيْنِ، فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ وَسَلِّمْ ثُمَّ كَبَّرْ ثُمَّ سَجِدْ ثُمَّ كَبَّرْ فَرَفَعَ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ ثُمَّ كَبَّرَ وَرَفَعَ.

فما إن ذكر حتى رجع للحق ، وإنما الاستمرار على الباطل وترك الحق من سيئات المبطلين البطالين، ويكفي في ذمهم ما قاله الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمْهَادُ ﴿البقرة: ٢٠٤-٢٠٦﴾.

وأخرج مسلم (٢٣٦٣) من حديث أنس وجاء بنحوه من حديث طلحة بن عبيد الله ورافع بن خديج: عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا الصَّلَحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

وجاء من حديث قتيلة عند أحمد (٣٧١ / ٦) وغيره: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدُّونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ.

والشاهد من هذا كله وما سيأتي أن الرجوع إلى الحق منقبة لا مذمة، ورفعة لا منقصة، وهدى لا ضلال، وسنة لا بدعة، وحق لا باطل، ولا يقوم بهذا الأمر إلا الأفاضل الأبطال الذين همهم الحق أين وجد وكيف وجد.

والذي ينظر في حال رجال زماننا في هذه الأيام يرى العجب العجائب، ومخالفة الصواب ومع ذلك يسقط الداعي تلو الداعي، والخطيب تلو الخطيب، وتموت دعوته ويحمد ذكره، ويوصف بالبدعة ويلحق بأهلها لا لشيء إلا لأن نفسه الإمارة مع شيطانه المريد نفخا في روعيه عدم الرجوع إلى الحق ظناً أن هذه نقيصة ولا والله.

ولنذكر بعض ما جرى للسلف من المسائل التي خالفوا فيها الدليل ثم رجعوا إلى سواء السبيل بدون غضاضة ولا تهويل.

قال عمر بن الخطاب في كتابه إلى أبي موسى المشهور: لا يمنعك فضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع فيه إلى الحق، فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق أولى من التماذي في الباطل، أخرجه البيهقي في الكبرى (١١٩/١٠) وسنده صحيح.

وقال الأجري في أخلاق العلماء: إن افتى بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستنكف أن يرجع عنها، وإن قال قولاً فرده عليه غيره ممن هو أعلم منه أو مثله أو دونه رجع عن قوله وحمده على ذلك وجزاه خيراً.

وأخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٤٢/٢) عن أبي العتاهية قوله:

إِذَا اتَّضَحَ الصَّوَابُ فَلَا تَدَّعُهُ فَإِنَّكَ كُلَّمَا ذُقْتَ الصَّوَابَا
وَجَدْتَ لَهُ عَلَى اللِّهَوَاتِ بَرْدًا كَبَرْدِ الْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا
وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَمْ يُبَالِي أَلَا أخطأُ فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا

ورحم الله الشافعي إذ يقول: نحن قوم نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا، أي قد يتبين لنا الحق في خلاف هذا القول، والحق هو المأمور به فيتعين الرجوع.

ولما مات رسول الله أنكر عمر موته كما في البخاري (١٢٤١): عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكِنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَتَيَمَّمِ النَّبِيَّ وَهُوَ مُسَجًى بِبُرْدٍ حَبْرَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ فَأَبَى، فَقَالَ اجْلِسْ فَأَبَى فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى الشَّاكِرِينَ، وَاللَّهُ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا.

ولما أراد أبو بكر قتال أهل الردة كان قول عمر غير قول أبي بكر، ثم رجع لما عرف أن الحق في جانب أبي بكر، يدل على ذلك حديث أبي هريرة عند البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠): عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ

عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ اللَّهُ وَلَا قَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ
بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا قَالَ عُمَرُ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ
اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

فهذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من أكابر علماء الصحابة
المحدث، لا يسوءه الرجوع إلى الحق، ولم يقل أنا عمر الذي قال عني رسول الله
: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ
فَجِّكَ».

وأما أهل زماننا وإلى الله المشتكى فيكون قد زُكِّيَ من قبل عالم من علماء
السنة أبان استقامته، ثم تظهر منه الشطحات والزلاقات والهفوات والزلات في
جانبه العقدي، فإذا ما نوصح ودعي إلى الحق والهدى إذ به يتنمر ويظهر تلك
التزكيات وأنا وأنا وهلم جر، ألا إن الرجوع عزيز.

ولا غرو أن يرجع المؤمن إلى الحق، وإن كان الذي أظهر له الحق صغيراً أم
كبيراً تلميذاً أم شيخاً.

فقد تتلمذ ابن عباس على زيد بن ثابت، وراجع زيداً فرجع، أخرج مسلم
(١٣٢٨) عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ إِذْ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: تُفْتَى أَنْ
تَصْدُرَ الْحَائِضُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهَا بِالْبَيْتِ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِمَّا لَا
فَسَلْ فَلَانَةَ الْأَنْصَارِيَّةَ: هَلْ أَمَرَهَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ: فَرَجَعَ زَيْدُ بْنُ
ثَابِتٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ صَدَقْتَ.

رجوع زيد بن صوحان السير (١٩٢/٤).

عن قتادة قال: حدثنا مطرف قال: كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول: يا عباد الله، أكرموا وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين: الخوف والطمع. فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتابًا، فنسّقوا كلامًا من هذا النحو: إن الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن إمامنا، ومن كان معنا كنا وكنا، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا.

قال: فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلًا رجلًا، فيقولون: أقررت يا فلان؟ حتى انتهوا إليّ فقالوا: أقررت يا غلام؟ قلت: لا، قال يعني زيدًا: لا تعجلوا على الغلام، ما تقول يا غلام؟ قلت: إن الله قد أخذ عليّ عهدًا في كتابه، فلن أحدث عهدًا سوى العهد الذي أخذه عليّ.

فرجع القوم من عند آخرهم ما أقر منهم أحد. وقد تقدمت مناظرة ابن عباس للخوارج وكم رجع منهم.

إلى غير ذلك مما جرى للعلماء ويجري على مر العصور وتقلبات الدهور.

هذا وقد ختمنا هذا الدرس ليومنا هذا الثاني من ربيع الثاني لعام (١٤٣١هـ) في وادي سوف من بلاد الجزائر.

ونعتبر بهذا الختام، قد انتهينا من الدروس العلمية الدعوية التي فتحت في هذه البلدة. فنسأل الله القبول والسداد والتوفيق والرشاد والحمد لله.

وكان الانتهاء من تصحيحها يوم الأربعاء ١١ شوال ١٤٣٣هـ

في مكتبتي في دماج، والحمد لله رب العالمين

تم في يوم ١٢ / من ذي الحجة / ١٤٣٣هـ



التعليقات الحسان

على اللمعة

المندوبة لشيخ الإسلام

شرح

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي منّ علينا فأفضل، وأعطانا فأجزل.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذا شرح مختصر على اللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وقلنا
(منسوبة) لأن بعض أهل العلم يشكك في نسبتها إليه، مع أن ما فيها موافق
لعقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة شيخ الإسلام.

وشيخ الإسلام - مناقبه مشهورة - وهو الإمام أحمد بن عبدالحليم بن
عبدالسلام ابن تيمية الحراني .

تنبيهان:

* وقع شيء من الاختصار في تدريسي لهذه المنظومة؛ والسبب في ذلك أنها
توافقت مع درسي لحائية ابن أبي داود، والمواضيع متقاربة، فما كان من نقص
يُتدارك من الشرح المشار إليه، ولعلي عند الطبع أجمع بينهما إن شاء الله تعالى.

* عدلت فيها ما يحتاج إلى تعديل حال كتابتها مع إضافات يسيرة،
وأسميتها: التعليقات الحسان على اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام .

والحمد لله رب العالمين.

عبد الحميد بن يحيى الحجو مري الزعكري

متن لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

- ١- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
- ٢- اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لَا يَنْشِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
- ٣- حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهِ أَتَوَسَّلُ
- ٤- وَلِكُلِّهِمْ قَدَرٌ عَالٍ وَفَضَائِلُ لَكِنَّمَا الصَّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
- ٥- وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ
- ٦- وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ
- ٧- وَجَمِيعَ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمُرُهَا حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
- ٨- وَأَرَدْتُ عُهْدَتَهَا إِلَى نِقَاطِهَا وَأَصُوْنَهَا عَنْ كُلِّ مَا يَتَخَيَّلُ
- ٩- فُبْحَا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ
- ١٠- وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقَّ رَبِّهِمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
- ١١- وَأُقَرُّ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي أَرْجُو بَأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنَّهُ لُ
- ١٢- وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخِرُ يُهْمَلُ
- ١٣- وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَانِ سَيَدْخُلُ
- ١٤- وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارَنُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
- ١٥- هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدُ يُنْقَلُ
- ١٦- فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوقِّقٌ وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ

تعريف المذهب والعقيدة وأقسام الهداية

قال رحمه الله:

١- يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ

الشرح:

قوله: (يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي) كأنه أجاب بهذا المنظومة عن سؤال وَجَّه إليه، وكم من الكتب التي صُنِّفَتْ على هذا الأساس، صُنِّفَتْ وألِّفَتْ بسبب سؤال وَجَّه إلى عالم من العلماء وإمام من الأئمة كالتدمرية، والواسطية، والحموية، والتبوكية، وكذلك صحيح الإمام مسلم، والسياسة الشرعية، وجامع بيان العلم وفضله، وأصول السنة لابن أبي زمنين.

والسؤال هو أحد وسائل طلب العلم، والتفقه في الدين، يقول الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

والمراد (بالمذهب) هنا الطريقة التي يسير عليها، لا المذاهب الأربعة المعروفة، لأن التمذهب بها ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، وإنما يدل الدليل على إتباع الكتاب والسنة: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، ولو قلنا (بلزوم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة) كما قال بعضهم، للزم أن يكون أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والتابعين على غير هدى؛ لأنهم لم يتمذهبوا بها زد على ذلك أن الدين كان ناقصاً فأتته هؤلاء، وهذه لوازم باطلة، وبطلان

اللازم يدل على بطلان المزوم! حاشاهم عن ذلك، بل أصحاب المذاهب كلهم محتاجون للعودة إلى الكتاب والسنة.

ومن اعتقد مذهباً واحداً وأنه لا يجوز له الخروج عنه - حتى وإن خالف الدليل - وهذا ضلال عظيم والعياذ بالله تعالى، لكن يقول أنا حنفي، أنا حنبلي، أنا شافعي، أنا مالكي، وأين وجدت الحق والدليل أخذت به، فهذا أهون، من الذي يخالف الدليل ويكون تمذهبه اسماً فقط مع أن الأولى له الانتساب إلى السنة، والإسلام؛ والإمام أحمد ومالك والشافعي وكل الأئمة روي عنهم (إذا صح الحديث فهو مذهبي) والإمام أحمد يقول: (عجبت لمن عرف الإسناد وصحته ثم يذهب إلى قول سفيان).

قوله: (رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ) أي: نال الهدى من طلبه بعد توفيق الله، أو كأنه دعا له وقال رزقك الله الهدى، ومن أسباب سلوك سبل الهداية، السؤال، والبحث عن العلم، والبحث عن العقيدة الصحيحة والصراط المستقيم، والطريق القويم.

والهداية تنقسم إلى قسمين:

الأول: هداية توفيق وهذه خاصة بالله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

الثاني: هداية الدلالة والإرشاد وهذه عامة قال تعالى في شأن نبيه: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].



تنبيهه السائل في استماع ما يلقي عليه والاستفادة منه

قال رحمه الله:

٢- اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

الشرح:

قوله: (اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ) أي اسمع وافهم ما يقوله رجل محقق مدقق، يعرف ما يقول، ويعرف ما يعتقد، والذي تكون أقواله وأفعاله صادرة عن علم ودراية وبينه، أخذًا لمنهج السلف الصالح، وبعدًا عن منهج المخالفين المنحرفين الطاعنين في منهج السلف القائلين: (مذهب السلف أسلم، ومذهبنا أعلم وأحكم!) يا سبحان الله! طريقة الجهم بن صفوان والجعد بن درهم، وابن كلاب، وواصل بن عطاء، وطرق أصحاب علم الكلام أعلم وأحكم؟! حاشا وكلا، وهل تكون السلامة إلا بالعلم والحكمة، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ

هذا هو العلم النافع الذي أمر الله بطلبه، والذي أمرنا بالتزود منه، والذي أمرنا بحفظه، -كما في حائية ابن أبي داود-:

وَدَعَّ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

وهؤلاء يقولون: مذهب السلف أسلم؛ من حيث عدم الخوض والتنقيب والتكلف، ومذهب الخلف أعلم وأحكم لأنهم خاضوا ونقبوا، بل (منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم)، (قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا،

وببصر نافذ كفوا) كما قال عمر بن عبد العزيز يعني: أنهم حين توقفوا عن الخوض والتنقيب كان توقفهم ذلك عن علم ودراية، والتوقف عن الخوض في علم الكلام ببصر نافذ، لعلمهم أن علم الكتاب والسنة هو المأمور بأخذه والسير عليه.

قوله: (لا يَنْشِئُ عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ) فيه بيان أن الذي يثبت على ما هو عليه، من الحق على ثقة وعلم، لا تنطلي عليه الشبه، والأهواء، والأقيسة الباطلة، ولهذا قال الإمام مالك لما جاءه بعضهم، قال: ناظرني، قال: (إن غلبتني؟) قال: اتبعني، قال: (إن غلبتك؟) قال: اتبعتك، قال: (اذهب إلى شاك مثلك فإني على ثبات من أمري)، ويقول عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل)، وكان السلف ينهاون، وينوون عن مناظرة أهل البدع لما فيها من الشبه وفساد.



حب الصحابة وحب آل البيت من عقيدة أهل السنة

قال رحمه الله:

٣- حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

الشرح:

قوله: (حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ)، أي أن طريقتي ومذهبي حب صحابة رسول الله واعتقاد محبتهم وفضلهم من طريقة أهل السنة والجماعة، لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، ففي البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) عن البراء قال النبي: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ».

وعن أنس قال: قال رسول الله: «آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الْأَنْصَارِ» أخرجه البخاري (٣٧٨٤).

وفي حديث أبي سعيد عند مسلم (٧٧): «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»، وقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ». هكذا يقول النبي كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة .

وفي مسلم (٧٨) عن علي أنه قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ.. وأخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥١٤) من حديث أبي سعيد قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء؛ فسبه، فقال رَسُولُ اللَّهِ :

«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

وأمر الله بحبهم، وبالدعاء لهم، فقال سبحانه وتعالى بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فالمؤمن التقي لا يغل، ولا يبغض الصحابة؛ لأنهم خيرة الخلق: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ». هكذا يقول ابن مسعود عند أحمد (٣٦٠٠).

والصحابه أثنى الله عليهم بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَنَبَّهُونَ فَضلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً﴾ [الفتح: ٢٩].

وبهذه الآية استدل الإمام مالك: أن الذي يبغض أصحاب النبي ليس له في الشيء شيء وأنه كافر، فمن عقيدة أهل السنة: حب الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة يتفاضلون فأفضلهم على الإجمال أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من آمن قبل الفتح قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ

قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الحديد: ١٠].

وكذلك المهاجرون في الجملة أفضل من الأنصار، ومن أفراد الأنصار من هو أفضل من بعض أفراد المهاجرين، والعشرة المبشرون بالجنة كلهم من المهاجرين، وقد بُشِّرَ بالجنة أيضاً: ثابت بن قيس من الأنصار، وسعد بن معاذ من الأنصار، والغميصاء من الأنصار.. وغير ذلك.

والناس في الصحابة طرفان ووسط:

أما الطرف الأول: فهم الرافضة، والخوارج الذين يكفرونهم ويسبونهم ويتنقصونهم.

والطرف الآخر: قوم يقولون: هم رجال ونحن رجال.

وطائفة ترفعهم فوق منزلتهم فيدعونهم ويذبحون لهم وهم القبورية من الصوفية وغيرهم.

والوسط: هم أهل السنة والجماعة، الذين عرفوا لهم قدرهم ومنزلتهم، واستغفروا لهم وكفوا عما شجر بينهم.

وفي آل البيت نفس التنوع:

قوم غلوا فيهم وهم الرافضة، والباطنية، وقوم وقعوا فيهم وهم النواصب، وقوم يحبونهم الحب الشرعي: وهم أهل السنة والجماعة.

والكلام في فضائل الصحابة يطول: أولاً: لمحبتنا لهم، ثانياً: لجمال سيرتهم، ثالثاً: للاستفادة مما كان يحصل منهم من حسن الاتباع، وحسن الاعتقاد،

والمبادرة والمسابقة إلى الخيرات والتضحيات التي بذلوها من أجل دين الله الحق، فمن تنقصهم فهو الناقص، ومن سبهم فهو المسبوب، ومن لعنهم فهو الملعون.

قوله: (وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ) من الوسائل المشروعة للتقرب إلى الله تعالى حب آل بيت النبي ، وأراد شيخ الإسلام بهذا البيان أن يبين مذهبه الحق في هذا الباب، كما أنه يحب الصحابة كذلك يحب آل البيت الصالحين، وهذا ردٌّ على الروافض؛ لأن الروافض عندهم (لا ولا) إلا براء، لا يصلح أن تحب علي إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر، وإذا أحببت أبا بكر وعمر، فأنت متبرئ من علي، مقدمة فاسدة ونتيجة أفسد، بل يجوز ويجب أن نحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلي . وفيه إشارة إلى التوسل المشروع.

والتوسل المشروع يكون بثلاثة أمور:

التوسل بدعاء الرجل الصالح: يدل عليه حديث عثمان بن حنيف عند الترمذي (٣٥٧٨): أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» . قَالَ: فَادْعُهُ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ» والحديث في الصحيح المسند للشيخ مقبل .

ويكون التوسل بالأعمال الصالحة: كما في حديث أصحاب الغار الثلاثة:

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «خَرَجَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ

الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَزْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ، فَاتِي بِهِ أَبُوِّي فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَحِثْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ رِجْلِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَائِبُهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحَبُّ امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَ: لَا تَنَالْ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا فَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ الثُّلَاثِينَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بَفَرَقٍ مِنْ دُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتُسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَتُسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ ۖ متفق عليه.

والتوسل بحب الصالحين:

أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً
وَأَكْرَهُ مَنْ بَضَاعَتُهُ الْمَعَاصِي وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

ومنها التوسل بأسماء الله وصفاته: قال الله : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأما التوسل بذوات الصالحين فهو توسل مبتدع، أما إذا اقترن به دعائهم والذبح لهم فهو شرك أكبر مخرج من الملة.

فضل أبي بكر الصديق

قال رحمه الله:

٤- وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وَفَضَائِلٌ لَكِنَّمَا الصَّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

الشرح:

قوله: (وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وَفَضَائِلٌ) يقول لكل الصحابة رضوان الله عليهم قدر، ومنزلة، وفضل رفيع، فشرف الصحبة لا يعدله شرف، ومن أراد النظر إلى ما عليه القوم من الفضل والخير فلينظر في الكتب المؤلفة في الباب، مثل: فضائل الصحابة للإمام أحمد، وكتب الفضائل في صحيح البخاري ومسلم، وكتب المسانيد والمعاجم.

قوله: (لَكِنَّمَا الصَّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ) هذا الذي قرره عليه إجماع صالحى الأمة: على أن الصديق وهو أبوبكر عبدالله بن عثمان ابن أبي قحافة، أفضل الصحابة، فعن ابن عمر قال: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ تَرَكْنَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ. أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

وعمر بن العاص سأل رسول الله : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَعَدَّ رَجُلًا. أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

وفي البخاري (٣٦٧١) عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ، ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فاعتقاد أهل السنة وطريقتهم وسيرهم: أن أفضل الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب .

وترتيبهم في الخلافة على ترتيبهم في الفضل، ومن زعم أن علي أحق من عثمان فهو أضل من حمار أهله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية، زد على ذلك أنه أزرى بالمهاجرين والأنصار، وخالف إجماعهم.

والخلاف الذي كان بين أهل السنة في القَدَم، هو من حيث تفضيل علي على عثمان لا من حيث أن علياً أحق بالخلافة، وقد اندثر ذلك المذهب، وأجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي .

وفضائل الصديق أكثر من أن تُحصَر وأشهر من أن تُذكر.



القرآن كلام الله غير مخلوق

قال رحمه الله:

هـ - وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ

الشرح:

قوله: (وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ) أي أعتقد في القرآن ما جاءت به آياته من أنه كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله تكلم الله تعالى به حقيقة بحرف وصوت وأنه غير مخلوق كما تقول الجهمية والمعتزلة ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر بالقرآن صفة الله تعالى وصفات الله تعالى غير مخلوقة ومما يدل على ما تقدم قول الله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠].

إلى غير ذلك من الأدلة من كلام ربنا وكلام نبينا ، وعلى هذا إجماع السلف.

قوله: (فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ) على ما تقدم بيانه وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]

ومن أسماء القرآن أيضا الفرقان والضياء والنور والهدى والفرقان.



وجوب الإيمان بما جاء في الشرع بدون تأويل

قال رحمه الله:

٦- وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

الشرع:

قوله: (وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي) يقول أيضاً من طريقتي في الاعتقاد أن أقول ما قاله الله تعالى وما قاله رسوله وهذا هو الواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يقول ما قاله الله تعالى، وما قاله رسول الله ، وأن يعتقد ما اعتقده رسول الله ، وما اعتقده الصحابة الكرام، قال الله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَٰهٌ مُّحْشَرُونَ ﴾ [أنفال: ٢٤].

وقوله: (وَلَا أَتَأَوَّلُ) تأوّل أهل الضلال، وهو في الحقيقة تحريف للأدلة، إما لفظاً أو معنًى، أو معنًى فقط.

والتأويل الفاسد بسببه حصل الفساد العظيم، فما وقعت الحروب، وما قتل عثمان، وما موقعة صفين، وما موقعة الجمل إلا بسبب التأويل الفاسد، فالتأويل شره عظيم، وهو التحريف، وإنما سموه تأويلاً من أجل لبس الحق بالباطل على المساكين الذين لا يفقهون. وقد نهى الله عن ذلك، فقال: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١].

فأهل البدع ما يسمون باطلهم باطلاً وبما ينفر منه الناس، بل يسمونه بأسماء منمّقة، انظر إلى الأصول الخمسة للمعتزلة: (العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين) يقول: نحن من أصولنا العدل، والتوحيد، ومن أصولنا: إنفاذ الوعيد، ومن أصولنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أصولنا المنزلة بين المنزلتين، ربما تقول: ما شاء الله! هذه أصول طيبة، إذا: لماذا يتكلم فيكم أهل السنة والجماعة؟ يتكلمون فيهم لما يعتقدون في قلوبهم من الباطل، ولما تجره هذه الأصول من الفساد.

فأما العدل: فيريدون به نفي القدر، وهو أن الله لم يخلق الشر، وأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، فهو تعطيل الله عن صفة الخلق، مع أن الله يقول: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

والتوحيد عندهم: نفي الصفات: بمعنى أن الله لا يسمع ولا يبصر، ولا يتكلم ولا يريد ولا يشاء ولا ينزل، وليس له يدان، ولا هو في العلو، ولا استوى على العرش، مع أن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإنفاذ الوعيد عندهم: أنهم يُوجبون على الله أن يعذب من وقع في المعصية إنفاذاً لوعيده فيهم، مع قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم: هو الخروج على الحكام المسلمين، مع ما ورد من الأدلة في تحريم ذلك.

والمنزلة بين المنزلتين: بيانا أن صاحب المعصية في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة مخلد في النار.

فلا تغتر بالمظاهر، والعبارات المخالفة للشرع، إنما الواجب علينا هو التمسك بالأدلة من الكتاب والسنة.

والتأويل يأتي بعدة معاني:

الأول: الحقيقة والمآل، قال الله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي حقيقته ومآله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال الله مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: هذا حقيقة الرؤيا التي رأيتها قبل سنين، وأيضاً: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي: لا يعلم حقيقة هذا المعاد، وحقيقة الصفات وكيفيتها إلا الله، وأهل السنة والعلماء يعرفون معناها، أما الكيفية أمرها إلى الله هو الذي يعلمها.

ويأتي التأويل بمعنى التفسير، ولهذا يقول ابن جرير الطبري: (وتأويل هذه الآية كذا وكذا) أي: تفسيرها، ومنه: تأويل الرؤيا أي: تفسيرها.

ويأتي التأويل بمعنى صرف المعنى الراجع إلى معنى مرجوح بقريئة، وهذا هو التأويل عند الأصوليين، فإن لم تكن ثمة قريئة فهو تأويل باطل، فيقولون - مثلاً - : (يد الله) نعمة الله، (ووجه الله) ذات الله أو الإحسان، (ونزول الله) نزول أمره، وهذا تأويل باطل وصرف للألفاظ عن ظواهرها إلى معانٍ باطلة لم يدل عليها الكتاب والسنة، فالواجب عليك: أن تقول قال الله، قال رسوله، ولا تتأول تأويل المبطلين، وتحريفهم بل صن الأدلة عن تحريصات القوم

وضلاهم الذي أدى إلى أعظم الحرام وهو القول على الله بغير علم قال تعالى:
 ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا
 بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].



وجوب السير في آيات الصفات على فهم السلف

قال رحمه الله:

٧- وجميع آيات الصفات أمرها حقاً كما نقل الطراز الأول

الشرح:

أي: أسير في آيات الصفات على منهج أهل السنة والجماعة، وعلى معتقد الذين نقلوها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وفي هذه الشطر من البيت رد على الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات ويعطلون الأكثر مع ما في صنيعهم من التناقض فإن القول في بعض الصفات كالقول في البعض، وقد جاءت أدلة الكتاب والسنة بإثبات صفات الباري والله متصف بالكمال المقدس من كل وجه.

وقوله: (حقاً): أي على حقيقتها لا مجازها كما يقول المبتدعة.

وقوله: (الطراز الأول): المراد بهم الصحابة ومن سار على سيرهم من التابعين لهم بإحسان.

وليس في هذا القول بالتفويض، كما استدل بعض أهل الضلال بقول السلف: (أمرؤها كما جاءت بلا كيف). ففي العبارة إثبات المعنى، فلو لم يثبت المعنى لما قال: (بلا كيف) فتنبه!

وفيه: أن الإجماع حجة في هذا الباب كغيره، وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، والبيهقي في الأسماء والصفات، وأشار إليه ابن تيمية في التدمرية وغيرها.



قبول خبر الثقات العدول في باب الأسماء والصفات

وقال رحمه الله:

٨- وأردُّ عَهْدَهَا إِلَى نِقَائِهَا وَأَصَوْنَهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

الشرح:

يعني: أردت بعات إثبات هذه الصفات إلى الذين نقلوها لنا وهم أعرف بمراد الله ومرار رسول الله فنثبت ألفاظها ومعانيها اللاتقة بالله ، وتصان عن التمثيل والتشبيه، وعن التكيف، فالإمام مالك بن أنس لما سأل بعض المبتدعة عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال له: (الاستواء معلوم، -والاستواء هو العلو والارتفاع، والصعود والاستقرار-، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، -الإيمان بما أخبر الله به وبما أخبر به رسول الله واجب-، قال: (والسؤال عنه بدعة، قم عني)، أي السؤال عن كيفية الصفة بدعة لأن الصحابة ما كانوا يسألون عنها والقاعدة عند أهل السنة أن المثبت للصفات يجب أن يتخلى من محظورين الأول التكيف والثاني التمثيل، والمنزه يجب عليه أن أن يتخلى من محظورين: التحريف والتعطيل.



خطر الإعراض عن الأدلة والأخذ بالآراء

قال رحمه الله:

٩- قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ [القرآن]^(١) وراءَهُ وإذا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

الشرح:

هذا تقييد لمن يترك كتاب الله ، الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ثم يعتمد على أقوال من لا يعتد بقوله، وكل من لم يأخذ بكلام الله وكلام رسوله لا بد أن يأخذ ما يخالفه وهذا من تناقض المعتزلة وتناقض أهل البدع، إذا قلنا: قال الله، قال رسول الله ، قالوا: إذا كان متواترا، الظاهر غير مراد، وإذا كان آحادا، قالوا: هذه أحاديث آحاد، والآحاد لا تؤخذ بها العقائد، سبحان الله! أحاديث رسول الله التي تناقلها الأئمة الأعلام، والحفاظ الكرام، لا تؤخذ بها العقائد، وبيت الأخطل النصراني تؤخذ به العقائد.

قال ابن القيم:

وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُ قَالِهِ فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي

يعني أنهم: يستدلون على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء بقول الأخطل النصراني، وهم في هذا الصنيع قد شابهوا اليهود.

قال ابن القيم:

نُونُ الْيَهُودِ وَلَا مَجْهَمِيٌّ هُمَا فِي شَرْعِ دِينِ اللَّهِ زَائِدَتَانِ

(١) وفي نسخة (الكتاب).

اليهود قيل لهم: ﴿وَادْخُلُوا آلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، قالوا: حنطة. حبة في شعيرة، والجهمية والمعتزلة قال الله لهم: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، قالوا: استولى، زادوا (لام) ما الدليل؟ قالوا:

قَدْ اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقٍ
قالوا: الاستواء المراد به الاستيلاء.

مع أن البيت قد وجد في نسخة:

بِشَرْ قَدْ اسْتَوَى عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقٍ

حتى وإن صحت نسبة البيت إلى الأخطل، فهذا الرجل زائع لا يحتج بأبياته، وقوله مردود عليه؛ لأن الله أعلم بنفسه وبغيره، قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، والاستواء معلوم عند أهل السنة على ما تقدم.

ولفظ: (استوى) إذا عُدي بنفسه، يراد به الكمال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] أي: كَمَلَ.

وإذا عُدي بالواو، المراد به المساواة: استوى الماء والخشبة، وإذا عُدي بـ(على) المراد به العلو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿لِئَسْتَوَا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣] أي: تَعَلَوْا.

صفة العلو

تنبيه: صفة الاستواء من الصفات الفعلية، وأدلة الاستواء تدل على علو الله على عرشه.

وعلو الله تعالى على خلقه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وقد تنوعت دلالة القرآن والسنة على إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى، فتارة تأتي بلفظ الفوقية قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقال كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١): «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

وتارة يأتي بلفظ العلو قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وجاء من حديث حذيفة عند مسلم (٧٧٢): أنه صلى مع رسول الله فسمعه يقول في سجوده: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى».

وتارة يأتي بلفظ الاستواء قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، في عدة سور من القرآن، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وتارة يأتي بلفظ في السماء قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] الآيتين، أي على السماء فإن أحرف الجر تتناوب، قال تعالى عن فرعون: ﴿وَلَأُصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي على جذوع النخل، وقال تعالى:

﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِهَا﴾ [الملك: ١٥]، والمراد بفي إجماع العقلاء على إذا لا يعقل أن يمشي في باطن الأرض.

وقال رسول الله كما في حديث أبي سعيد عند البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤): ﴿أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِئٌّ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!﴾.

وجاء من حديث معاوية بن الحكم عند الإمام مسلم (٥٧٣): أن رسول الله سأل الجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قالت: في السماء، قال: «مَنْ أَنَا؟» قالت: رسول الله، قال: «أَعْتَقُهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ»، فمن زعم أن الله تعالى بذاته في كل مكان فقد كفر.



إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال رحمه الله:

١٠- والمؤمنون يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ

الشرح:

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، والمؤمنون يرون الله يوم القيامة، في المحشر، والجنة.

وقد اختلف الناس في رؤية الله في أرض المحشر هل هي للمؤمنين خاصة، أم للمؤمنين وجميع أهل الموقف؟

فذهب طائفة من أهل العلم من أهل السنة إلى أن الرؤية عامة للمؤمنين وغيرهم في الموقف.

وذهب طائفة إلى أن الرؤية خاصة بالمؤمنين ومن كان ظاهره الإيمان في الدنيا كالمنافقين.

وذهب بعضهم إلى أن الرؤية خاصة بالمؤمنين، وكلها أقوال أهل السنة لا يُبدع المخالف فيها.

ولكن يبدع من أنكر الرؤية.

والأدلة على إثبات الرؤية كثيرة:

منها قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]، ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً ﴿يونس: ٢٦﴾، والزيادة فسرها النبي بأنها النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، ففي حديث صهيب عند مسلم (١٨١) عَنْ صُهَيْبٍ ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُخْرِجَنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ «، وَزَادَ - فِي رَوَايَةٍ - ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦]. والنبي يقول: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد ، فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، وبهذا الحديث وغيره استدل أهل السنة على أن الله يرى في العلو خلافاً للأشاعرة الذين يقولون: (يرى لا في جهة) وهذا غاية التناقض فإن المرئي لا بد أن يرى في العلو أو السفلى والله منزّه عن السفلى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، لما عُدِّي النظر بـ(إلى) دل على النظر الحقيقي، وقوله : «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ» أخرجه النسائي (١٣٠٥) عمار بن ياسر ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١).

ولي بحمد الله مؤلف مستقل في هذه المسألة.

إثبات نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا

..... وإلى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

قوله: (وإلى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) أي: يؤمنون بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، صح هذا عن جمع من الصحابة منها في الصحيحين حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) ولفظه: أن رسول الله قال: «يَنْزِلُ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». ومن حديث أبي سعيد أخرجه مسلم (٧٥٨، ١٧٢)، وصفة النزول إلى السماء الدنيا ثابتة لله وهي من الصفات الفعلية؛ لأن تعلقها بمشيئة الله .

قوله: (بَغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) نؤمن بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل، كما أخبر الله به رسوله ، بعيداً عن التكيف والتمثيل، وبعيداً عن التحريف والتعطيل.

وهذا البيت فيه ردٌّ على ابن بطوطة، إذ زعم أنه قدم دمشق، وشيخ الإسلام يخطب، وقال: إن الله ينزل من على عرشه كما أنزل من على منبري هذا. فهو دخل دمشق وابن تيمية في السجن، فابن تيمية يقول: (وإلى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) نؤمن بالنزول، والنزول معروف، إذا قلت لك: نزل زيد الطابق الأسفل، معروف النزول، لكن نحن نؤمن أن الله ينزل ولا نكيف ولا نمثل.

ومسألة يخلو منه العرش أو لا يخلو منه العرش بحركة وانتقال أو بغير حركة وانتقال، هذه لوازم لا يستطرد لها، بل نقول: ينزل ونؤمن بذلك ونتوقف مع الأدلة.

وأيضاً لا نقول: ينزل بذاته، نقول: ينزل، كما قال رسول الله مع اعتقادنا وإيماننا أن الله سبحانه وتعالى ينزل حقيقة، وليس المراد نزول أمره ولا نزول رحمته، ولا نزول ملك من ملائكته كما يقول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم فإنه يقول في الحديث من يستغفرني ولا يغفر الذنوب إلا الله تعالى.



إثبات الحوض والميزان

قال رحمه الله:

١١- وأقر بالميزان والحوض الذي أرجو بآني منه ريباً أنه هل

الشرح:

من عقيدة أهل السنة الإيمان بالحوض والميزان والصراط، وغير ذلك مما هو داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

ويدل على إثبات الميزان قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وفي حديث أبي هريرة : «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

وله كفتان وهي التي توضع فيها الأعمال والدليل حديث عبدالله بن عمرو عند الترمذي (٢٦٣٩): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ

عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

وللميزان لسان وهو ما يمسك به الميزان.

ويوزن العامل، والدليل على ذلك حديث ابن مسعود إنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحَدٍ» أخرجه أحمد (٣٩٩١).

ويوزن العمل، والدليل حديث أبي هريرة السابق.

وتوزن الصحف، والدليل حديث عبدالله بن عمرو السابق.

ويدل على إثبات الحوض قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢ إِنَّا شَانَتْكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

وفي حديث أنس عند مسلم (٤٠٠) قال رسول الله: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ؛ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثْتُ بِعَدِكَ».

وأحاديث الحوض متواترة، قد جمعت منها في مؤلف قريباً من الثمانين

حديثاً، ففي البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩) من حديث جندب: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

وفيهما البخاري (٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠) من حديث سهل: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».

ولهما البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن عبدالله بن عمرو بن العاص: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كُنُجُومُ السَّمَاءِ؛ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»، هذا بعض من كل وقليل من كثير.

وحوض النبي موجود الآن؛ ففي الصحيحين البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١) عن أبي هريرة: «وَمُنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

ويُطْرَدُ عن الحوض نوعان من أهل الملة المبتدعة، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٤٩): «أَلَا لَيْدَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُدَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا».

وجاء بنحوه من حديث حذيفة عند مسلم (٢٤٨).

ويطرد كذلك قومٌ من العصاة؛ ففي مسند أحمد (٣/٣٢١) من حديث جابر في قصة كعب بن عجرة، قال رسول الله: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ» قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: «أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُونِ بِسُنَّتِي؛ فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرُدُّوا عَلَيَّ حَوْضِي».



إثبات الصراط

قال رحمه الله:

١٢- وكذا الصراط يُمدُّ فوق جَهَنَّمَ فَمُسْلِمٌ نَاجٍ وَآخَرٌ مُهْمَلٌ

الشرح:

نؤمن أيضًا بالصراط، وأنه جسر على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعرة، دحض مزلة، عليه خطاطيف وكلايب، وحسك مثل شوك السعدان، وهي مأمورة بقبض من أمرت به: «فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمُكَرَّدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» كما في الصحيح عن أبي سعيد .

والصراط ينقسم إلى صراط حسي وصراط معنوي، والصراط الحسي: هو الكتاب والسنة، من سار على الكتاب والسنة في الدنيا، نجا وصار على الصراط المعنوي في الآخرة. ومن الناس من يمر على الصراط كالبرق، كما في حديث أبي هريرة وحذيفة عند مسلم، ومنهم من يمر عليه كالريح، ومنهم من يمر عليه كشد الخيل، ومنهم من يمر عليه يجري، ومنهم من يمر عليه يمشي، ومنهم من يمر عليه يزحف، ومنهم من يكردس على وجهه في نار جهنم، نسأل الله السلامة.

ويكون الناس: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] في الظلمة دون الجسر، كما قال النبي ، أخرجه مسلم عن ثوبان وعائشة . والأنبياء يومئذ على الصراط يقولون: اللهم سلم سلم .

واختلفوا فيمن يصعد الصراط، والراجح: أنه لا يجوزه إلا المؤمنون، وأما الكافرون فإنهم يساقون إلى نار جنهم يتقادعون فيها تقادع الفراش، والمنافقون يصعدون على الصراط ثم تنطفئ الأنوار التي معهم ويتساقطون في النار كما في الآيات التي في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمُ اللَّهُ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٣-١٤].



الجنة والنار موجودتان لحكمة

قال رحمه الله:

١٣- والنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وكذا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَّةِ سَيَدْخُلُ

الشرح:

قال الله : ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥]، النار يصلها الشقي بحكمة الله، خلقه الله لحكمة، خلقه لعبادته، فوق فيما وقع فيه فاستحق ما هو فيه، قال الله : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] الآية، قال الله : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَيْنِيَّةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ١-٧]، والآيات كثيرة في النار، وعذاب النار حق في الكتاب والسنة.

والنار والجنة موجودتان الآن، والجنة في السماء السابعة، والنار في الأرض السفلى، كما في حديث البراء بن عازب في سياق قصة القبر، فمن عقيدة أهل السنة: الإيمان بوجود الجنة والنار الآن، والمعتزلة قالوا: وجودهما عبث الآن، بينما القرآن والسنة يدلان على أن الجنة والنار موجودتان، وأنها لا تغنيان أبدًا ولا تبيدان، وأن أهل الإيمان في الجنة خالدون وأهل الكفر في النار خالدون فيها أبدًا.

قوله: (وكذا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَّةِ سَيَدْخُلُ) قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسَادَ هَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣١ - ٣٦]. والآيات معروفة في هذا الباب.



وجوب الإيمان بنعيم القبر وعذابه

قال رسول الله:

١٤- وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارَنُ بِهِ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

الشرح:

نؤمن بعذاب القبر ونعيمه، وأن عذاب القبر للكافرين ولمن شاء الله أن يعذبهم من عصاة المؤمنين، وأن القبر فيه عذاب ونعيم، وسؤال وضمة، فالضمة لا ينجو منها أحد إلا الأنبياء على الصحيح، قال النبي: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، فَلَوْ نَجَا أَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنْهَا لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» صححه الألباني في الصحيحة (١٦٩٥).

وفي القبر مسألة والمعبر عنها بالفتنة وهي شاملة لكل أحد من الناس إلا الأنبياء والشهداء والمرابطين والصديقين، أما الأنبياء فيسأل عنهم، ولا يسألون هم لحديث عائشة عند أحمد (١٣٩/٦): «فَبِي تَفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»، وأما الشهداء؛ ففي النسائي (٢٠٥٥) من حديث رجل من أصحاب النبي: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رُءُوسِهِمْ فِتْنَةً».

وأما المرابطون؛ ففي مسلم (١٩١٣) عن سلمان: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجِرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ».

وأما الصديقون فكونهم أفضل من الشهداء والله أعلم، والصديق أفضل من المرابط، وأفضل من الشهيد.

والعذاب قد ينقطع في حق المؤمنين كانقطاعه عنهم في الآخرة، وأما في حق الكافرين فإنه دائم، ولهذا يقول الكافر حين يوضع في القبر حين يأتيه من حر النار وسمومها يقول: «يَا رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»، والمؤمن إذا رأى الجنة ونعيمها يقول: «رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ».

قال : (عَمَلٌ يُقَارَنُهُ هُنَاكَ وَيُسَأَّلُ) يسأل عن أعماله، ويسأل عما قدم، نسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وَكَانَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَهُوَ بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَهُوَ بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧) وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع (١٦٨٤). ولنا ذنوب كثيرة ومعاصٍ وسيئات، نسأل الله أن يتجاوز عنا.

وحياة البرزخ طويلة جداً، والحياة الدنيا ما هي شيء عند البرزخ، قال الله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقال الله : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ٨٨ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ ٨٩ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٩٠ ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٩١ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ ٩٢ ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ٩٣ ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٌ﴾ ٩٤ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ٩٥ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦].



بيان عقيدة الأئمة الأربعة

قال رحمه الله:

١٥- هذا اعتقاد الشافعي ومالك وأبي حنيفة ثم أحمد يُنقل

الشرح:

هؤلاء هم أئمة المذاهب الأربعة.

فالشافعي: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبى القرشي ، ينسب إليه المذهب الشافعي وهو لم يؤسس مذهباً، ولم يدعُ إلى مذهب، فإنه كان إماماً في السنة في عهده وزمنه، وكان صاحب سنة بعيداً عن علم الكلام، حتى قال في أهل الكلام: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال المزني: أنقذني الله بالشافعي، فإنه لما قدم مصر فذهبت إليه، فناظرته قال: يا بني اطلب العلم، الذي إذا أخطأت فيه قالوا: أخطأت. وإياك والعلم الذي إذا أخطأت فيه قالوا: ضللت وتزندق.

ومالك: هو الإمام مالك بن أنس الأصبحي اليمني إمام دار الهجرة ومفتيها، صاحب الموطأ.

وأبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت.

وأحمد: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، إمام أهل السنة، ابتلي بمنحة خلق القرآن فنجاه الله، فكان ممن حفظ الله بهم الدين، حتى قال علي بن المديني : حفظ الله الدين بأبي بكر في الردة، وبأحمد في المحنة.

واعتقاد الشافعي ومالك وأحمد سواء، أما أبو حنيفة فله مخالفات ، يخالف أهل السنة في باب الإيمان، والقرآن روي عنه أنه يقول: بخلق القرآن واستتيب ثلاث مرات، وعرض على السيف ثلاث مرات، كما هو مذكور في مصنف ابن أبي شيبة، وغيره بأسانيده الصحيحة، وكان صاحب رأي رحمه الله وتجاوز عنه. حتى قال الشافعي: (بنى مذهبه على مائة وعشرين حديثاً ثمانون منها ضعيفة، وأربعون صحيحة) فإذا كان أصل المذهب بني على الأحاديث الضعيفة، فما نتيجة ذلك!.

وسُمي أصحابه بالرأيين، وكان الحميدي يقول: لا أستحل ذكره في الحرم... إلى غير ذلك.

وأتباعه من أشد المتعصبة في المذاهب، وأبعد المذاهب عن طريقة رسول الله مذهب أبي حنيفة، وأقرب المذاهب، مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. ومذهب مالك والشافعي، وكل هؤلاء لم يدعوا إلى التمذهب لأرائهم وأفكارهم، بل يقولون: إذا صح الحديث فهو مذهبي، ومالك يقول: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، يعني النبي . إلا أن متأخري المتهذه وقع فيهم التأويل والتمشعر كما في أصحاب مالك، وفي أصحاب الشافعي، وبعض الحنابلة.



الخاتمة

قال رحمه الله:

١٦- فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ

الشرح:

أي: إن اتبعت سبيل القوم في الاتباع لسنة رسول الله ولطريقة الصحابة رضوان الله عليهم، في العلم العمل، والتفقه في الدين، فإن هذا من أعظم المكاسب والمطالب، وهذا هو علامة التوفيق، والتسديد، وإن خالفت طريقهم بالبدعة فما عليك حزن ولا يبالى بك، لكن الواقع أننا بالنظر إلى القدر الكوني نتألم عليهم ونرحمهم، وبالنظر إلى القدر الشرعي نحذر منهم ومن باطلهم نصيحة للإسلام والمسلمين.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

ونكون في يومنا هذا الثلاثاء الأول من شهر ربيع الثاني من عام (١٤٣١هـ) قد انتهينا من التعليق على لامية شيخ الإسلام في وادي سوف من بلاد الجزائر، وهذا تعليق مختصر، وإلا فحق المنظومة أكثر من هذا.

نسأل الله لنا ولكم السداد والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

(١) وفي بعض النسخ (فموحد).

وبحمد الله تعالى وتوفيقه لي فقد تكلمت على هذه المسائل وغيرها من المسائل في كثير من كتبي مثل كتابي فتح الباري على شرح السنة للبرهاري، وكتاب سلامة الخلف في طريقة السلف، وكتاب تمام المنة بشرح أصول السنة.

المحتويات

أولاً

عنون المعبود علاه حائخ أباي بكر بن أباي داود

٣	مقدمة
٥	ترجمة المصنف
١٦	متن حائية ابن أبي داود
١٨	المقدمة
١٩	الحث على التمسك بالكتاب والسنة
٣٠	القرآن كلام الله منزل غير مخلوق
٣٩	الوقف في القرآن
٤١	مسألة اللفظ
٤٣	إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
٤٨	تنزيه الله عن النقائص
٥٠	الرد على الجهمية في مسألة الرؤية
٥٢	إثبات صفة اليمين لله سبحانه وتعالى
٥٦	إثبات صفة النزول لله سبحانه وتعالى
٦٢	فضل الخلفاء الأربعة
٦٣	ذكر شيء من فضائل الصحابة:
٦٣	فمن فضائل الصديق الأكبر (أبو بكر):
٦٧	ومن فضائل عمر :
٦٨	ومن فضائل عثمان :
٧٠	ومن فضائل رابعهم وهو: علي بن أبي طالب :

فضائل بقية العشرة المبشرين بالجنة	٧٢
فضل عائشة ومعاوية	٧٦
فضائل بقية الصحابة	٨٥
التحذير من الطعن في الصحابة	٩٢
الإيمان بالقدر	٩٧
عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر	١٠٣
إثبات فتنة القبر والحوض والميزان	١٠٦
إثبات الحوض	١١٢
الإيمان بالميزان	١١٧
الإيمان بالصراط	١١٩
إخراج الموحدين من النار	١٢٣
الإيمان بوجود الجنة والنار الآن	١٢٧
إثبات الشفاعة للنبي	١٣٠
الإيمان بعذاب القبر	١٣٥
حكم تكفير المسلم العاصي	١٣٧
مسألة تارك الصلاة	١٤٠
إثبات العرش	١٤١
بيان عقيدة الخوارج	١٤٣
بيان عقيدة المرجئة	١٤٦
عقيدة أهل السنة في الإيمان	١٤٩
وجوب الأخذ بالدليل وترك آراء الرجال	١٥٣
الحذر من الطعن في أهل الحديث	١٥٥
خاتمة الرسالة	١٥٧

ثانيًا

التعليقات الحسان على الالامية المنسوبة لشيخ الإسلام

١٧٧	مقدمة
١٧٩	تعريف المذهب والعقيدة وأقسام الهداية
١٨١	تنبيه السائل في استماع ما يلقي عليه والاستفادة منه
١٨٣	حب الصحابة وحب آل البيت من عقيدة أهل السنة
١٨٩	فضل أبي بكر الصديق
١٩١	القرآن كلام الله غير مخلوق
١٩٣	وجوب الإيمان بما جاء في الشرع بدون تأويل
١٩٧	وجوب السير في آيات الصفات على فهم السلف
١٩٨	قبول خبر الثقات العدول في باب الأسماء والصفات
١٩٩	خطر الإعراض عن الأدلة والأخذ بالآراء
٢٠١	صفة العلو
٢٠٣	إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
٢٠٥	إثبات نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا
٢٠٧	إثبات الحوض والميزان
٢١٠	إثبات الصراط
٢١٢	الجنة والنار موجودتان لحكمة
٢١٣	وجوب الإيمان بنعيم القبر وعذابه
٢١٥	بيان عقيدة الأئمة الأربعة
٢١٧	الخاتمة
٢١٨	المحتويات